رمال الخداع: لغز الصحراء

الفصل الأول: دعوة إلى الرمال

عدّل جهين سُلهان نظارته ذات الإطار الذهبي وحدق من نافذة المروحية إلى الفراغ الشاسع تحته. امتدت الصحراء نحو الأفق مثل محيط من الذهب، تتصاعد كثبانها وتنخفض في منحنيات رشيقة ذكّرته بخطوط جسد امرأة. جميلة، قاتلة، ومتغيرة إلى الأبد.

"سنهبط في غضون خمس دقائق، سيدي،" ناداه الطيار، وكان صوته بالكاد مسموعاً فوق الصوت الإيقاعي لشفرات المروحية.

أومأ جهين برأسه، على الرغم من أنه يعلم أن الطيار لا يستطيع رؤيته. أصابعه النحيلة لكن القوية، كانت تنقر على دفتر ملاحظاته المغلف بالجلد في حضنه. بداخله، دوّن بعناية بخط يده الدقيق، تفاصيل ما أتى به إلى هذه الزاوية النائية من الربع الخالي أكبر صحراء رملية في العالم.

قبل ثلاثة أيام، في مكتبه المتواضع في الرياض، تلقى مكالمة من يزفير بَهلير، الرئيس التنفيذي لشركة بترو-سلمير للابتكارات. تم العثور على جثة في منشأة الأبحاث التجريبية الخاصة بهم في أعماق الصحراء. الضحية هي الدكتورة حوزير، عالمة بيئة كانت تعمل على مشروع شمسي ثوري. كان بإمكان السلطات إرسال محققين، بالطبع، لكن التكتم كان في غاية الأهمية. كانت لعائلة بَهلير علاقات، وكانوا يرغبون في أن يقوم شخص بمواهب جهين الخاصة بفحص المسألة قبل أن تصبح معروفة للعامة.

"يقولون إنك ترى ما لا يراه الآخرون، سيد سُلهان،" قال يزفير عبر الخط الآمن. "والدي يثني كثيراً على عملك في قضية ميناء جدة".

سمح جهين لنفسه بابتسامة صغيرة عند سماع ذلك. كانت القضية مرضية بشكل خاص لغز احتيال في الشحن الدولي استغرق منه ثلاثة أيام لحله بينما فشل

الآخرون لأشهر. كانت أساليبه غير تقليدية، واهتمامه بالتفاصيل أسطورياً، وفهمه للطبيعة البشرية شبه خارق.

بدأت المروحية في الهبوط، وعادت أفكار جهين إلى الحاضر. في الأسفل، ظهرت منشأة البحث من المشهد الرملي كسراب مجموعة من المباني البيضاء مع ألواح شمسية لامعة، محاطة بسياج أمني عالٍ. كانت جزيرة من التكنولوجيا في بحر قديم من الرمال.

عندما هبطوا على المهبط، جمع جهين حقيبة جلده الصغيرة. كان يرتدي ملابس أنيقة كالعادة، بدلة رمادية فاتحة مصممة بشكل مثالي بدت وكأنها تتحدى الحرارة، وقميص أبيض متقن، ومنديل جيب بنقشة الكشمير الذي قدم البقعة الوحيدة من اللون في مظهره. رغم البيئة الصحراوية، ظل دقيقاً بشأن مظهره سمة أكسبته لقب "أنيق الصحراء" بين أصدقائه القلائل.

في اللحظة التي خطا فيها من المروحية، اجتاحته الحرارة. حتى في أكتوبر، يمكن أن ترتفع درجات الحرارة فوق 40 درجة مئوية. لم يتراجع جهين. لقد وُلد في هذه الأرض، ونشأ فيها فهو يفهم مزاجها ومخاطرها. كانت الصحراء في دمه.

اقترب رجل طويل ذو وجه مجعّد من الطقس، يمد يده. "سيد سُلهان؟ أنا سلمير جَلمير، رئيس الأمن. شكراً لك على قدومك بهذه السرعة".

"الصحراء تعلمنا أن الوقت ثمين، سيد جَلمير،" أجاب جهين، مصافحاً يد الرجل بإيجاز. "أفهم أنه تم اكتشاف الجثة صباح أمس"

"نعم، سيدي. من قبل أحد عمال الصيانة لدينا. إذا تبعتني، سآخذك إلى حيث احتفظنا بها. لقد فحصها طبيب الشركة، لكننا لم نلمس أي شيء آخر، كما طُلب منا".

مشيا نحو المبنى الرئيسي، والشمس تنهال عليهما بلا رحمة. تحدث سلمير أثناء سيرهما، موضحاً البروتوكولات الأمنية الأساسية للمنشأة، وعدد الموظفين الموجودين (سبعة وعشرون)، وحقيقة أنه لم يغادر أحد منذ اكتشاف الجثة.

"المنشأة مكتفية ذاتياً بالكامل،" شرح سلمير. "يتم إعادة تدوير المياه، والطاقة تأتي من الألواح الشمسية، ويتم توصيل المؤن شهرياً بواسطة مروحية. كان آخر توصيل قبل ثمانية أيام. لم يدخل أو يخرج أحد منذ ذلك الحين حتى وصولك".

"إذن لدينا دائرة مغلقة،" تمتم جهين، أكثر لنفسه منه لرفيقه. "كم هذا مثير للاهتمام".

كان المبنى الرئيسي بارداً بشكل منعش بعد الفرن في الخارج. لاحظ جهين نظام التحكم المناخي المتطور، والممرات البيضاء النظيفة، وكاميرات الأمن الخفية لكن منتشرة في كل مكان. كان هذا مكاناً للأسرار، أسرار علمية بالتأكيد، ولكن الآن ربما شيئاً أكثر ظلاماً أيضاً.

"تم العثور على الدكتورة حوزير في مختبرها،" تابع سلمير. "إنه في الجناح الشرقي، منفصل عن مناطق البحث الرئيسية. كانت تعمل على شيء... متخصص".

"متخصص بأي طريقة، سيد جَلمير؟"

تردد سلمير. "أعتقد أن السيد بَهلير يجب أن يشرح ذلك. إنه ينتظرك في قاعة المؤتمرات، مع باقي الكوادر العليا".

توقف جهين عن المشي فجأة. "أفضل أن أرى الجثة أولاً. والمشهد. قبل أن يتأثر... انطباعي بآراءهم".

كانت هناك لمحة عابرة ارتسمت على وجه سلمير للحظة ...انزعاج؟ قلق؟ ، لكنه استعاد سلوكه المهني بسرعة. "بالطبع. من هنا، من فضلك".

انعطفا إلى ممر آخر، هذا يؤدي إلى ما يبدو أنه منشأة طبية. كان رجل صغير بمعطف أبيض ينتظر خارج أحد الأبواب، ورأسه الأصلع يلمع تحت المصابيح الفلورية.

"الدكتور باشيان،" قدمه سلمير. "طبيب شركتنا. لقد كان يراقب الدكتورة حوزير".

كانت مصافحة الدكتور باشيان رطبة، وعيناه متوترتين خلف نظارته السميكة. "سيد سُلهان. لقد أجريت فحصاً أولياً فقط، كما طُلب. أنا لست طبيباً شرعياً، كما تعلم".

"ومع ذلك يجب أن تكون قد كوّنت رأياً حول سبب الوفاة،" أجاب جهين، وعيناه الداكنتان تدرسان الطبيب بعناية.

ابتلع الدكتور باشيان ريقه. "هذه هي المشكلة، سيد سُلهان. لا أستطيع تحديد سبب. لا توجد جروح، ولا علامات على صدمة، ولا مؤشرات على نوبة قلبية أو سكتة دماغية. يبدو أنها ببساطة..... قد توقفت عن الحياة".

ارتفع حاجبا جهين قليلاً أقرب ما يأتي من إظهار المفاجأة. "هذا مثير للاهتمام. هل يمكنني رؤيتها الآن؟"

قادهم الدكتور باشيان إلى المشرحة الصغيرة. على طاولة من الستانلس ستيل استلقت جثة امرأة في أوائل الأربعينيات من عمرها، مغطاة حتى الكتفين بملاءة بيضاء. كان وجهها هادئاً، كما لو كانت نائمة، لولا السكون غير الطبيعي والصبغة الزرقاء الخفيفة على شفتيها.

اقترب جهين ببطء، عيناه تلتقط كل التفاصيل. كانت الدكتورة حوزير امرأة جذابة، ذات شعر أحمر قصير مخطط بالرمادي، وخطوط ضحك حول عينيها، وفك قوي يدل على التصميم. أظهرت يداها، المرئيتان بجانب الملاءة، كالوساً لشخص يعمل في الميدان وكذلك في المختبر.

"متى شوهدت على قيد الحياة آخر مرة؟" سأل جهين، دون أن يرفع عينيه عن الجثة.

"المساء قبل العثور عليها،" أجاب سلمير. "تناولت العشاء في المنطقة المشتركة في حوالي الساعة 7:30 مساءً، ثم عادت إلى مختبرها للعمل. لم يكن هذا غير معتاد بالنسبة لها. أفاد طاقم التنظيف أن أضواءها كانت لا تزال مضاءة في الساعة 11:00 مساءً. تم اكتشافها في الساعة 6:15 صباحاً في اليوم التالي من قبل

روحبان، أحد عمال الصيانة لدينا، عندما جاء لإصلاح مشكلة في التكييف كانت قد أبلغ عنها في اليوم السابق".

أومأ جهين ببطء، ثم رفع بعناية إحدى يدي المرأة الميتة، فاحصاً إياها بعدسة التكبير الجيبية الخاصة به.

"هناك بقايا تحت أظافرها،" لاحظ. "ورائحة خفيفة من اللوز، ربما؟"

مال الدكتور باشيان إلى الأمام بحماس. "نعم، لاحظت ذلك أيضاً! اعتقدت أنه قد يكون كريم يديها أو شيئاً مشابهاً".

"ربما،" قال جهين بشكل محايد. "أود أن أرى المكان الذي عُثر عليها فيه الآن".

غادروا المشرحة وساروا إلى الجناح الشرقي من المجمع. استخدم سلمير بطاقة الأمن الخاصة به لفتح مجموعة من الأبواب المزدوجة التي تحمل علامة "منطقة محظورة - للموظفين المصرح لهم فقط".

"كان لدى الدكتورة حوزير تصريح من المستوى الخامس،" شرح سلمير. "هي والسيد بَهلير فقط كان لديهما وصول كامل إلى هذا المختبر".

كان المختبر واسعاً ومجهزاً جيداً. كان أحد الجدران لديها نوافذ كبيرة تطل على الصحراء، محمية حالياً من الشمس القاسية بواسطة مصاريع خارجية. وكانت هناك معدات معقدة على الجدران، وفي وسط الغرفة وجدت عدة أوعية زجاجية كبيرة تحتوي على ما يبدو أنه نباتات صحراوية مختلفة وعينات من ترب.

"عُثر عليها هنا،" أشار سلمير إلى بقعة بالقرب من إحدى محطات العمل. "منهارة فوق جهاز الكمبيوتر الخاص بها".

دار جهين حول المنطقة ببطء، وعيناه الحادتين تلاحظ كل شيء: فنجان القهوة نصف الفارغ، والأدوات المرتبة بشكل أنيق، ودفتر الملاحظات المفتوح مع خط يد أنيق يملأ الصفحات. انحنى ليفحص الأرض، ثم سلة المهملات القريبة، ثم الكمبيوترالذي ظل دون مساس منذ وفاتها.

"هل وصل أحد إلى ملفات أبحاثها؟" سأل.

"لا، سيدي،" أجاب سلمير بحزم. "كان عملها مشفراً ومحمياً بكلمة مرور. طلب السيد بَهلير استعادة أبحاثها إن أمكن، لكننا لم نلمس شيئاً".

"حكيم جداً،" تمتم جهين، معتدلاً. انتقل إلى الأوعية الزجاجية، دارساً النباتات النامية بداخلها. بدت غير ملفتة للنظر في البداية نباتات صحراوية نموذجية متكيفة مع الظروف القاسية لكن عند الفحص الدقيق، كان هناك شيء غير عادي حول ألوانها، وبنيتها.

"هذه ليست أنواعاً تحدث بشكل طبيعي،" صرح.

"هذا صحيح،" قال صوت جديد من المدخل. "إنها ابتكارات الدكتورة حوزير. معدلة وراثياً للبقاء في ظروف قاسية معالجة بمستويات أعلى بكثير من ثاني أكسيد الكربون من النباتات العادية".

استدار جهين ليواجه القادم الجديد. كان الرجل في منتصف الثلاثينيات من عمره، يرتدي بدلة من الكتان باهظة الثمن لكن غير رسمية، وشعره الداكن مقصوص بأناقة، ولحيته مشذبة بعناية. لم تكن هناك حاجة للمقدمات؛ كان وجه يزفير بَهلير معروفاً جيداً في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية الوجه الشاب والطموح لمستقبل الطاقة في المملكة.

"السيد بَهلير،" اعترف جهين بإيماءة خفيفة. "كنت فقط أستكشف مكان عمل الدكتورة حوزير".

"ومشروعها السري،" أضاف يزفير، داخلاً الغرفة. "مشروع يمكن أن يجعل بترو-سلمير للابتكارات إما رائدة في تقنية التقاط الكربون أو يخرجنا من أعمال النفط تماماً".

"تضارب مصالح مثير للاهتمام،" لاحظ جهين، مراقباً الرجل الأصغر سناً بعناية.

ابتسم يزفير ابتسامة لم تصل إلى عينيه. "التقدم غالباً ما يخلق مثل هذه الصراعات، سيد سُلهان. السؤال ليس ما إذا كان التغيير سيأتي، بل من سيسيطر عليه." أشار نحو الباب. "الآخرون ينتظرون في قاعة المؤتمرات. أعتقد أنه حان الوقت لتلتقي بكل من كان حاضراً عندما توفيت حوزير".

ألقى جهين نظرة أخرى حول المختبر، وعقله يصنف بالفعل بالاحتمالات، والتناقضات، والأسئلة. ثم تبع يزفير بَهلير عبر الممر، نحو غرفة مليئة بالناس كل منهم ربما شاهد شمس الصحراء تشرق في اليوم الذي أصبحوا فيه قتلة
.

الفصل الثاني: المشتبه بهم المجتمعون

احتلت قاعة المؤتمرات الطابق العلوي من المبنى الرئيسي، بنوافذ تمتد من الأرض إلى السقف توفر إطلالة بانورامية على الصحراء اللامتناهية. كانت الشمس تبدأ بالغروب الآن، تصبغ الرمال بألوان العنبر والذهب. داخل القاعة، كان الجو بارداً وهادئاً، مع طاولة بيضاوية كبيرة يجلس حولها ستة أشخاص. توقفت جميع المحادثات عندما دخل جهين مع يزفير بَهلير.

"سيداتي وسادتي،" أعلن يزفير، "هذا هو جهين سُلهان، المحقق الذي ذكرته. السيد سُلهان، اسمح لي أن أقدم لك كبار موظفي منشأة إزهار الصحراء".

تفحص جهين الوجوه أمامه، ملاحظاً التوتر في الغرفة، العصبية بدت تتخلل في الهواء مثل ضباب غير مرئي. ظل واقفاً بينما كان يزفير يقدم التعريفات، مستفيدًا من ارتفاعه الطفيف ليتمكن من تقييم كل شخص بشكل أفضل.

"الدكتورة لاميرا، كبيرة علماء الكيمياء الحيوية لدينا." امرأة نحيلة ذات شعر أسود تتخله خصلات فضية ومصفصفة بتصفيفة الكعكة. من الاحساء، خمّن جهين من اسمها واللكنة الخفيفة عندما تمتمت بالتحية. كانت كشخص يعيش في خياله أكثر مما يعيش في واقعه.

"الدكتور باشيان، مهندس جيولوجي." أومأ الرجل البحريني برأسه دلالة على التحية. بدا أنه في الخمسينيات من عمره، بأسلوب هادئ ويدين ثابتتين توحيان بالدقة والصبر.

"سلمير، مدير العمليات لدينا." قدم رجل سعودي أصغر سناً ذو نظارات عصرية ولحية مشذبة ابتسامة متوترة. كان هناك شيء مألوف عنه لم يستطع جهين تحديده على الفور.

"روحيلة، رئيسة دمج التكنولوجيا المستدامة." كانت نظرات المرأة المغربية الطويلة مباشرة. كانت ترتدي وشاحاً ملوناً ملفوفاً بأناقة حول رأسها، في تباين صارخ مع ملابسها العملية الحديثة.

"روحبان، رئيس الصيانة." كان الرجل الذي اكتشف الجثة أكبر سناً، ربما في أواخر الخمسينيات من عمره، بيدين متكلستين ووجه متجعد يتحدث عن سنوات من العمل في الهواء الطلق. بدا غير مرتاح بشكل واضح في حضور الآخرين.

"وأخيراً، باشميرة، مساعدة الأبحاث للدكتورة حوزير." كانت أصغر شخص على الطاولة امرأة لبنانية لا يمكن أن تكون أكثر من خمسة وعشرين عاماً، بعينين ذكيتين محمرتين من الدموع.

جلس جهين على المقعد الفارغ في نهاية الطاولة، واضعاً دفتر ملاحظاته أمامه. "شكراً لتعاونكم خلال هذا الوقت الصعب،" بدأ، بصوت ناعم لكنه يصل بسهولة الى آخر الغرفة. "أتفهم أن لديكم جميعاً عملاً مهماً هنا، وسأسعى لأكون دقيقاً ذو كفاءة".

توقف، معدلاً نظارته. "قبل أن نبدأ، يجب أن أسأل: هل كره أي شخص هنا الدكتورة حوزير؟ هل كانت هناك أي غيرة مهنية، أو نزاعات شخصية، أو خلافات حول اتجاه أبحاثها؟"

علق السؤال في الهواء للحظة، تبعته نظرات غير مريحة حول الطاولة.

كانت روحيلة هي من كسرت الصمت. "حوزير كانت عبقرية لكن.... صعبة. كانت لديها معايير عالية جداً ولم تكن خجولة في التعبير عن خيبة أملها عندما لم يتم تلبيتها".

"كانت متطلبة بسبب ان طبيعة العمل يتطلب ذلك،" تدخلت باشميرة، بنبرة دفاعية واضحة في صوتها. "كانت أبحاثها ثورية".

"ثورية ومحتملة التدمير لشركات الطاقة التقليدية،" لاحظ جهين، ناظراً مباشرة إلى يزفير. "بما في ذلك شركتك، السيد بَهلير".

قابل يزفير نظرته بثبات. "بترو-سلمير للابتكارات تمول الأبحاث في كل من الطاقة التقليدية والبديلة، السيد سُلهان. نحن نؤمن بالتنويع. كان عمل حوزير مدعوماً بالكامل من الشركة".

"من قبلك شخصياً، ربما،" إلا أن أفراد عائلتك الآخرين لا يتفقون مع توجهاتك الحديثة،" قالت الدكتورة لاميرا بنبرة فيها شيء من الازدراء".

تجلّت نظرة من الانزعاج على وجه يزفير. "والدي منحني سلطة كاملة على هذا القسم. مهما كانت آراؤه الشخصية، فهو يحترم قراراتي التجارية".

"ومع ذلك يرسل محققه الشخصي عندما تكون هناك مشكلة،" ردت الدكتورة لاميرا.

أمال جهين رأسه قليلاً. "أنا لست موظفاً لدى عائلة بَهلير، سيدتي. أنا مستشار مستقل عملت مع العديد من العائلات والمنظمات البارزة في المملكة. ولائي الوحيد هو للحقيقة".

قلب صفحة في دفتر ملاحظاته. "الآن، أفهم أن لا أحد دخل أو غادر هذه المنشأة منذ آخر توصيل للإمدادات قبل ثمانية أيام. هل هذا صحيح؟"

أومأ الجميع بنعم.

"والاتصالات مع العالم الخارجي؟"

"محدودة،" أجاب جَلمير من موقعه بجانب الباب. "لدينا إنترنت وقدرة هاتفية عبر الأقمار الصناعية، لكن جميع الاتصالات يتم توجيهها عبر خوادم الشركة الآمنة. إنه بروتوكول أمني قياسي لمنشآتنا النائية".

"حسناً،" دوّن جهين ملاحظة. "أود مراجعة سجلات الاتصالات تلك".

"بالطبع،" وافق يزفير بسلاسة. "أي شيء تحتاجه".

"أود أيضاً مقابلة كل واحد منكم على انفراد، بدءاً من الآن،" تابع جهين. "وسأحتاج إلى وصول كامل لجميع مناطق المنشأة".

"بعض المناطق تحتوي على تكنولوجيا خاصة" قال الدكتور باشيان.

"وهي الآن ثانوية بالنسبة لتحقيق في وفاة،" قاطعه جهين بلطف لكن بحزم. "أؤكد لك، دكتور باشيان، ليس لدي اهتمام بالتجسس الصناعي. اهتماماتي في مكان آخر".

وقف، مغلقاً دفتر ملاحظاته. "الآنسة باشميرة، بصفتك الزميلة الأقرب للدكتورة حوزير، أود التحدث معك أولاً. هل هناك مكان يمكننا التحدث فيه على إنفراد؟"

أومأت باشميرة، ناهضة من كرسيها. بدت شاحبة لكن متماسكة. "يمكننا استخدام مكتبي".

"شكراً لك." التفت جهين إلى الآخرين. "من فضلكم لا تناقشوا هذه المسألة فيما بينكم حتى أتحدث مع كل واحد منكم. سيكون... مؤسفاً لو تأثرت الذكريات ببعضها البعض".

وبينما كان يتبع باشميرة خارج الغرفة، استطاع جهين أن يشعر استشعر فهيم وطأة نظراتهم تلاحقه، فاحصة، مرتابة وربما حتى عدائية. إحدى تلك النظرات، كان موقناً انها تخص قاتلاً. قد تكون الصحراء شاسعة وفارغة، لكن في هذه المحطة المعزولة، ليس للأسرار مكان تختبئ فيه. ومثلما يتسلل الماء بين ذرات الرمل، ستبرز حتماً إلى النور.

الفصل الثالث: تحت السطح

كان مكتب باشميرة صغيراً ومنظماً بعناية، ة، حيث تراصت أوراق الأبحاث في مجموعات منظمة بدقة وملفات مصنفة بألوان مختلفة على الرفوف. وكانت هناك نبتة صبار صغيرة على عتبة النافذة وهي اللمسة الشخصية الوحيدة في مكان يغلب عليه الطابع العملي.

"من فضلك، اجلس،" عرضت عليه وهي مشيرة إلى الكرسي المقابل لمكتبها. وكانت يداها ترتعشان قليلاً حين اتخذت مقعدها.

استقر جهين بشكل مريح، آخذاً لحظة ليتأمل المرأة الشابة. بدا حزنها صادقاً، إلا أن هناك شيئاً آخر يكمن وراءه. التوتر قد يكون طبيعياً في ظل هذه الظروف، أو قد يلمح إلى ما هو أكثر تعقيداً.

"لقد عملتِ بشكل وثيق مع الدكتورة حوزير،" بدأ باستجوابها. "منذ متى كنتِ مساعدتها؟"

"ما يقرب العامين،" أجابت باشميرة. "تم تعييني مباشرة بعد إكمال درجة الدكتوراه في الهندسة الحيوية في كامبريدج. العمل مع حوزير كان فرصة لا تصدق".

"ما الذي يمكنك إخباري به عن أبحاثها الحالية؟"

ترددت باشميرة وهي تعبث بالقلم بين أصابعها على المكتب. "إنها سرية للغاية. لست متأكدة من مقدار ما يريد السيد بَهلير الكشف عنه".

"السيد بَهلير قد فوضني لمعرفة كل ما هو ضروري لحل هذه القضية،" رد جهين بلباقة. "وفي تجربتي، الآنسة باشميرة، التحقيق في جرائم القتل والأسرار التجارية لا يجتمعان في معظم الأحيان".

اتسعت عيناها. "قتل؟ لكن الدكتور باشيان لم يستطع العثور على سبب للوفاة".

"هذا بالضبط سبب وجودي هنا،" قال جهين. "الوفيات الطبيعية عادة ما تترك أدلة على سببها. عندما لا تفعل ذلك، يجب علينا النظر في احتمالات أخرى".

ابتلعت باشميرة ريقها بصعوبة، ثم بدا أنها حسمت أمرها. "كانت حوزير تطور نوعاً جديداً من نباتات الصحراء المعدلة وراثياً. نباتات يمكنها البقاء في أقسى الظروف مع معالجة بكميات هائلة من ثاني أكسيد الكربون وإنتاج الأكسجين بمعدلات غير مسبوقة".

"تقنية التقاط الكربون،" أومأ جهين. "وسيلة لمكافحة تغير المناخ".

"أكثر من ذلك بكثير،" مالت باشميرة إلى الأمام، وحماسها العلمي يتغلب مؤقتاً على قلقها. "هذه النباتات يمكنها نظرياً تحويل النظم البيئية الصحراوية بأكملها إذا تم نشرها على نطاق واسع. إنها مصممة للانتشار بشكل طبيعي بمجرد استقرارها، مما يخلق مخزنًا كربونيًا مستدامًا يمكن أن يعوض عقود من انبعاثات الوقود الأحفوري".

"مما يجعل شركات النفط غير ضرورية،" لاحظ جهين.

"أو مساعدتهم في تحقيق التوازن الكربوني خلال مرحلة الانتقال إلى مصادر طاقة أخرى،" ردت باشميرة. "هذا هو سبب تمويل بترو-سلمير للبحث. على الأقل، هذا ما ادعاه يزفير".

"تبدين متشككة".

نظرت بعيداً. "كانت حوزير متشككة. كانت تؤمن بالتزام يزفير، لكنها كانت قلقة بشأن تأثيرات أخرى. الحرس القديم في صناعة النفط، كما كانت تسميهم".

"هل كانت محددة بشأن هذه المخاوف؟"

"لا، لكن..." ترددت باشميرة. "في الأسبوع الماضي، بدت متوترة. كانت تعمل متأخراً، تقفل ملفاتها حتى عني، ومرة سمعتها تتجادل على الهاتف. بدات بالهمس عندما أدركت أنني كنت قريبة".

"متى كان ذلك؟"

"قبل ثلاثة أيام من وفاتها".

دوَّن جهين ملاحظة. "هل كانت للدكتورة حوزير أي علاقات شخصية داخل المنشأة؟ أصدقاء؟ علاقات عاطفية؟"

ظهرت لمحة على وجه باشميرة خاطفة لدرجة أن جهين ربما فاتته لو لم يكن يراقبها بدقة. "كانت حوزير تحتفظ بخصوصية حياتها الشخصية. كانت ودودة مع الجميع، لكنها لم تكن مقربة من أحد. ربما باستثناء الدكتورة لاميرا. فقد عرف كل منهما الآخر منذ سنوات، من خلال مشاريع بحثية قديمة".

"والأعداء؟"

انخفضت عينا باشميرة إلى مكتبها. "هي والدكتور باشيان اختلفا كثيراً حول تخصيص الموارد. كان يعتقد أن الكثير من ميزانية المنشأة كان يتم توجيهه إلى مشروعها".

"أي شخص آخر؟"

"سلمير جَلمير كان يستاء من سلطتها. بصفته مدير العمليات، كان يفوقها تقنياً في المخطط التنظيمي، لكن يزفير منح حوزير وضعاً خاصاً. كانت ترفع تقاريرها مباشرة إليه، متجاوزة التسلسل الإداري المعتاد".

"أفهم." نقر جهين بقلمه بتفكير على دفتر ملاحظاته. "سؤال أخير، آنسة باشميرة. أين كنتِ بين الساعة 11 مساءً و 6 صباحاً في ليلة وفاة الدكتورة حوزير؟"

شحب وجه باشميرة. "كنت في غرفتي. نائمة".

"هل يمكن لأي شخص تأكيد ذلك؟"

"لا،" بصوت خافت. "أعيش وحدي".

أومأ جهين، مدوناً ملاحظة أخرى. "شكراً لصراحتك. رجاءً اطلب من الدكتور باشيان الحضور".

بعد أن غادرت باشميرة، وقف جهين وتوجه إلى النافذة، محدقاً في الصحراء. كانت الشمس قد غربت الآن، والظلام يخيم بسرعة، كما كان يحدث دوماً في الصحراء. على مسافة بعيدة، تمكن من رؤية أضواء حدود المنشأة وهي تضيء، خالقةً بقعة منيرة صغيرة في وسط بحر من العتمة اللامتناهية.

قطع طرقاً على الباب حبل أفكاره.

"ادخل،" نادى دون أن يستدير.

دخل الدكتور باشيان الغرفة، حركاته دقيقة ومنضبطة. على عكس باشميرة، لم يُظهر علامات للضيق أو القلق.

"السيد سُلهان، كيف يمكنني المساعدة في تحقيقك؟"

استدار جهين، مشيراً إلى الكرسي. "من فضلك، اجلس. لدي بعض الأسئلة حول علاقتك بالدكتورة حوزير".

"مهنية ومحترمة،" أجاب الدكتور باشيان وهو يجلس. "كانت لدينا أولويات مختلفة، لكن هذا أمر طبيعي في منشأة متعددة التخصصات".

"أولويات مختلفة،" كرر جهين. "هل يمكنك التوضيح؟"

وضع الدكتور باشيان يديه في حضنه. "تم إنشاء هذه المنشأة في البداية لأبحاث تقنيات الصحراء المستدامة بصيغة الجمع. الطاقة الشمسية، استصلاح المياه، الهندسة الجيولوجية للبناء في الصحراء. مع مرور الوقت، بدأ مشروع التقاط الكربون للدكتورة حوزير يستهلك المزيد والمزيد من الموارد. أعربت عن قلقي من أننا كنا نهمل مسارات أخرى واعدة للبحث".

"هل أدت هذه المخاوف إلى جدالات؟"

"خلافات،" صحح الدكتور باشيان. "خلافات مهنية. لم أرفع صوتي أبداً على الدكتورة حوزير، ولا هي معي".

"ومع ذلك كنت غير سعيد بتأثيرها على السيد بَهلير".

بدت علامة الدهشة على وجه الجيولوجي. " أنت على اطلاع جيد بالأمور".

"أنا ألاحظ وأستمع، دكتور باشيان. هذا ما أفعله".

أمال الدكتور باشيان رأسه. "نعم، كنت قلقاً بشأن الاهتمام غير المتوازن الذي ناله مشروعها. لكنني لن أؤذي زميلاً أبداً بسبب خلاف على التمويل. هذا سيكون..." بحث عن التعبير المناسب. " غير متكافئ".

"بالفعل." فتح جهين دفتر ملاحظاته. "أفهم أن الدكتورة حوزير كانت تحرز تقدماً كبيراً مؤخراً. .هل شاركت أي اكتشافات مهمة مع بقية أعضاء الفريق؟"

"لا،" رقت شفتا الدكتور باشيان قليلاً. "أصبحت أكثر سرية في الأسابيع الأخيرة. حتى مساعدتها استبعدت من جوانب معينة من البحث".

"هل بدا ذلك غير عادي لك؟"

"بالنسبة لحوزير؟ لا. كانت دائماً حريصة على حماية عملها حتى تصبح جاهزة لتقديم نتائج حاسمة." صمت للحظة. "لكن كان هناك شيء مختلف هذه المرة. .قلق وتوتر لم أره فيها من قبل".

"هل تحدثت معها في اليوم السابق لوفاتها؟"

"بإيجاز، خلال وجبة الغداء. بدت مشتتة".

"وتواجدك بين الساعة 11 مساءً و 6 صباحاً تلك الليلة؟"

لم تظهر على الدكتور باشيان أي علامات مفاجأة من السؤال المباشر، إن كان قد تفاجأ به ام لا. "كنت في مختبري حتى حوالي منتصف الليل، أجري محاكاة على

حركة المياه الجوفية تحت المنشأة. سجلات الأمن ستؤكد لك متى عدت إلى غرفتي. بعد ذلك، كنت وحدي".

أومأ جهين. "شكراً لك، دكتور باشيان أرجو منك أن تطلب من الدكتورة لاميرا الحضور إليّ بعدك".

استمرت المقابلات طوال المساء. كانت الدكتورة لاميرا متحفظة ومهنية ، معترفة بصداقتها الطويلة مع حوزير لكنها كشفت القليل عن جوهر الأحداث الأخيرة. كانت روحيلة أكثر صراحة، حيث أشارت إلى أنها رأت حوزير في محادثة حامية لكن منخفضة الصوت مع سلمير جَلمير قبل يومين من وفاتها.

كان سلمير نفسه دفاعياً، مصراً على أن خلافاته مع حوزير كانت مهنية بحتة وتتعلق ببروتوكولات السلامة التي أرادت تجاوزها. "كانت عبقرية لكن متهورة،" أصر. "دائماً تدفع الحدود دون اعتبار للعواقب المحتملة".

كان روحبان، عامل الصيانة الذي اكتشف الجثة، واضح الارتباك في هذا الجو الرسمي. كانت يداه المتجعدتان تلتويان بعصبية وهو يروي كيف اكتشف الدكتورة حوزير منهارة فوق لوحة مفاتيحها،معتقداً في البداية أنها نامت أثناء العمل.

"ناديت باسمها، ثم لمست كتفها،" شرح، وصوته يخشن من التأثر. "كانت باردة. باردة جداً. أدركت حينها أنها قد فارقت الحياة، فاستدعيت المساعدة على الفور."

"هل لمست أي شيء آخر في المختبر؟" سأل جهين.

"لا، سيدي. أعرف أنه يجب ألا أعبث بعمل العلماء." كان هناك نبرة فخر في صوته. "خمسة وعشرون عاماً قضيتها في خدمة عائلة بَهلير. أعرف القواعد جيداً".

كان يزفير بَهلير آخر من تمت مقابلته، وصل بينما كان جهين يدوّن ملاحظاته عن المحادثات السابقة.

"آمل أن تكون هذه المناقشات قد كانت مفيدة،" قال يزفير وهو يجلس على المقعد مقابل جهين.

"قدموا لنا الإطار العام للموضوع،" رد جهين بحذر. "رغم أنني أجد من المثير للاهتمام أن لدى الجميع وجهة نظر مختلفة قليلاً عن الدكتورة حوزير وعملها".

"الناس يرون ما يريدون رؤيته،" هز يزفير كتفيه. "كانت حوزير امرأة معقدة".

"وذات قيمة لشركتك".

" بالتأكيد." كان تعبير يزفير جدياً. "وفاتها ليست مجرد مأساة شخصية بل انتكاسة كبيرة لمبادراتنا البيئية".

"ما لم يمكن للآخرين مواصلة أبحاثها،" اقترح جهين. "الآنسة باشميرة، ربما؟"

هز يزفير رأسه. "باشميرة موهوبة، لكنها لا تملك رؤية حوزير أو خبرتها. بالإضافة إلى ذلك، لسنا متأكدين حتى من مقدار العمل الذي يمكن استعادته. أصبحت حوزير شديدة السرية، تحتفظ ببعض البيانات فقط على أجهزتها الشخصية، وهي مشفرة".

"لماذا تفعل ذلك إذا كانت تثق بك وبالشركة؟"

"كانت حوزير... حذرة بطبيعتها. لقد عملت في بيئات مؤسسية من قبل وتعرضت للأذى عندما حاول مدراء عملها السابقين السيطرة على أبحاثها." بسط يزفير يديه. "منحتها استقلالية استثنائية لتشعر بالراحة".

"استقلالية تسببت في احتكاك مع موظفيك الآخرين".

"بعض آلام النمو لا مفر منها في أي منظمة،" رد يزفير بسلاسة. "لا شيء خطير بما يكفي لإثارة القلق".

"أو القتل؟"

تصلب تعبير يزفير قليلاً. "لقد بنيت مسيرتي المهنية على جمع أفضل العقول في العلوم والتكنولوجيا، سيد سُلهان. اقتراح أن أحد أعضاء فريقي المختارين بعناية يمكن أن يرتكب جريمة قتل هو... أمر مقلق".

"ومع ذلك اتصلت بي،" أشار جهين. "وليس بالسلطات".

"كإجراء احترازي،" رد يزفير. "للتأكد من أنه إذا كان هناك أي لعب غير مشروع وهو ما أشك فيه فسيتم اكتشافه من قبل شخص متحفظ ودقيق قبل أن تحوله وسائل الإعلام إلى فضيحة قد تضر بسمعة الأبرياء والعمل المهم الذي نقوم به".

أومأ جهين ببطء. "سؤال أخير، السيد بَهلير. أين كنت بين الساعة 11 مساءً و 6 صباحاً ليلة وفاة الدكتورة حوزير؟"

للمرة الأولى، بدا يزفير مندهشاً بصدق. "بالتأكيد أنت لا تشك بي؟"

"أنا أشك في الجميع وفي الوقت نفسه لا أدين أحد حتى تتحدث الأدلة خلاف ذلك،" رد جهين بهدوء. "هكذا أعمل".

شد يزفير فكه لحظياً قبل أن يجيب. "كنت في مكالمة فيديو مع مجلس إدارتنا حتى قرابة الساعة 1 صباحاً ـــ فارق التوقيت مع نيويورك يجعل الاجتماعات متأخرة. بعدها، ذهبت إلى غرفتي. وحدي".

"شكراً لتعاونك،" قال جهين، مغلقاً دفتر ملاحظاته. "أود فحص غرفة الدكتورة حوزير الآن، إذا أمكنك ترتيب الوصول".

"بالطبع." وقف يزفير. "سلمير سيرافقك. هل هناك أي شيء آخر تحتاجه الليلة؟"

فكر جهين للحظة. "نعم. أود سجلات اتصالات المنشأة للشهر الماضي، ووصولاً إلى لقطات كاميرات الأمن لليلة وفاة الدكتورة حوزير".

"سأجهزها لك،" وعد يزفير. "رغم أنني أحذرك، كان لنظام الأمن بعض الأعطال تلك الليلة. كانت الصيانة مجدولة لمعالجتها في اليوم التالي".

"كم هذا مناسب،" تمتم جهين.

"صدفة مؤسفة،" صحح يزفير بحزم.

ابتسم جهين قليلاً فقط وجمع دفتر ملاحظاته. كان ليل الصحراء قد هبط بالكامل الآن، وفي مكان ما في هذه المنشأة المعزولة، كان قاتل يراقب تحركاته، ويحسب خطواته التالية. لكن جهين سُلهان أمضى حياته في فك شفرات الخداع البشري. مثل الصحراء نفسها، كان يبدو هادئاً وثابتاً على السطح، بينما في الأسفل، كان عقله يتحول ويعيد ترتيب حبات الأدلة، باحثاً عن النمط الذي سيكشف الحقيقة.

الفصل الرابع: نقوش على الرمال

عكست غرفة الدكتورة حوزير شخصيتها تمامًا. منظمة وعملية. مجلات علمية مرصوصة بعناية بجانب السرير، ومجموعة صغيرة من العينات الجيولوجية منسقة على رف، وصورة واحدة مؤطرة لما يبدو أنه لقاء عائلي: حوزير في سن أصغر بكثير، محاطة بوجوه مبتسمة.

تنقل جهين في أرجاء الغرفة بمنهجية، لا تغيب عن عينيه شاردة أو واردة. كانت الغرفة صغيرة لكنها مريحة، غرفة نوم و حمام وركن لمجلس صغير مع مكتب. لاحظ الحاسوب اللوحي على المنضدة بجانب السرير، وقارئ الكتب الإلكتروني بجانبه، وعلى الأرجح كلاهما محمي بكلمة مرور. أما الخزانة فاحتوت على ملابس عملية مناسبة للصحراء، مع بعض الأطقم الرسمية لمؤتمرات الفيديو أو الزيارات الرسمية.

في الحمام، فحص مستحضراتها الشخصية وجد أغراض عادية لا شيء غريب فيها ثم فتح خزانة الأدوية. حبوب منومة موصوفة طبيًا، استُهلك نصفها. دواء مضاد للحساسية و مسكنات ألم أساسية دوّن ملاحظة عن كل منها.

كشفت أدراج المكتب عن أشياء أكثر خصوصية: مذكرة بخط اليد، وصندوق صغير من المقتنيات الثمينة يحتوي على ما يبدو أنه ساعة رجالية، وبعض الرسائل القديمة مربوطة بشريط. تعامل جهين مع كل قطعة باحترام، باحثًا عن أي شيء قد يلقي ضوءًا على حالة الدكتورة حوزير النفسية في أيامها الأخيرة.

كانت المذكرة هي الأكثر إثارة للاهتمام. خط يد حوزير، المنظم والواضح في الصفحات الأولى، أصبح أكثر تسرعًا وميلًا في الأسابيع الأخيرة. كتبت عن اختراقات وانتكاسات، وعن حماسها تجاه إمكانيات أبحاثها، وبشكل متزايد، عن مخاوفها.

٧ مايو: أكد لي يزفير أن مجلس الإدارة لا يزال ملتزمًا، لكنني ألمح ترددًا. نتائج المحاكاة الأخيرة كفيلة بإسكات المشككين. إذا استطعنا إثبات تحسن بنسبة ٤٠٪ في

امتصاص الكربون في عينات المرحلة الثالثة، فحتى أكثر الأصوات تحفظًا ستضطر للاعتراف بالإمكانيات الهائلة.

١٨ مايو: باشيان لا يكف عن التشكيك في توزيع الموارد. معارضته أصبحت مزعجة. أنا متأكدة أنه يتواصل مع الحرس القديم خلف ظهر يزفير. السياسة... دائمًا السياسة، حتى هنا في قلب العدم.

٢ يونيو: السلالة المعدلة تتجاوز كل التوقعات. نموذج فأر الصحراء لا يُظهر أي آثار جانبية من وجوده بالقرب من النباتات. نحن قريبون جدًا من النجاح لدرجة أنني أكاد اشعر به. أسبوعان آخران من الاختبارات ستمنحنا بيانات كافية للانتقال إلى التجارب الميدانية المحكومة.

كان آخر ما كتبته، قبل وفاتها بثلاثة أيام فقط، مقلقاً بشكل خاص:

١٥ يونيو: هناك من يحاول الوصول إلى ملفات أبحاثي الخاصة. بروتوكولات الأمان تسجل محاولات دخول من داخل المنشأة أثناء ساعات الليل. غيّرت جميع كلمات المرور ومفاتيح التشفير. لم أخبر أحدًا، حتى لاميرا. لم أعد متأكدة ممن يمكنني الوثوق به الآن. بيانات المرحلة الرابعة محفوظة بأمان على قرصي الشخصي. إذا حدث لي مكروه، يزفير يعرف الإجراء الاحترازي.

أغلق جهين المذكرة متأملًا. " الإجراء الاحترازي" تمتم لنفسه. مهما كانت، لم تنجح في منع مقتلها لكنها ربما حفظت شيئًا آخر.

قاطع طرق خفيف على الباب تأملاته. وقف سلمير جَلمير عند المدخل، يحمل جهازًا لوحيًا.

"سيدي، لقد جهزت سجلات الاتصالات التي طلبتها، وما توفر لدينا من تسجيلات أمنية من ليلة الحادثة".

"شكرًا لك،" اخذ جهين الجهاز. "الأعطال التي ذكرها السيد بَهلير، ما الذي تعطل بالضبط؟"

بدا سلمير متوترًا. "كاميرات المراقبة في ممر الجناح الشرقي حيث يقع مختبر الدكتورة حوزير تعرضت لانقطاعات متقطعة بين العاشرة مساءً والثانية صباحًا. لدينا تسجيلات قبل وبعد ذلك، لكن هناك فجوات خلال تلك الفترة".

"يا للمصادفة العجيبة،" علّق جهين للمرة الثانية تلك الليلة. "وكم مرة تحدث مثل هذه الأعطال عادة؟"

"نادرًا جدًا،" اعترف سلمير. "النظام مصمم بأنظمة احتياطية متعددة. جدولنا صيانة بسبب ملاحظة مشكلات بسيطة في اليوم السابق".

"أفهم. ومن كان على علم بهذه 'المشكلات البسيطة'؟"

"فريق الأمن بأكمله. وأي شخص اطلع على جدول الصيانة".

"وهذا الجدول متاح لمن بالتحديد؟"

"لجميع رؤساء الأقسام وكبار الموظفين،" أجاب سلمير بتردد واضح.

"إذن فعليًا، كل من قابلتهم اليوم".

أومأ سلمير برأسه، وقد بدا عليه التوتر المتزايد.

"أشكر صراحتك يا سيد جَلمير. سأراجع هذه السجلات والتسجيلات على الفور".

بعد انصراف سلمير، جلس جهين عند مكتب حوزير وبدا في فحص بيانات الاتصالات. كانت المنشأة تحتفظ بسجلات شاملة لجميع المراسلات الواردة والصادرة: رسائل البريد الإلكتروني، مكالمات الفيديو، الرسائل النصية، والمكالمات الصوتية، جميعها تمر عبر خوادم الشركة المؤمنة.

كان معظمها روتينيًا كتقارير متابعة، طلبات إمدادات، رسائل شخصية لأفراد العائلة. كان الدكتور باشيان بالفعل يتواصل كثيرًا مع أعضاء مجلس الإدارة الآخرين، لكن المحتوى بدا مرتكزًا على أبحاثه الجيولوجية الخاصة وليس شكاوى

حول حوزير. تبادل سلمير جَلمير عدة رسائل موجزة مع يزفير حول بروتوكولات السلامة، مع ذكر اسم حوزير مرارًا.

الأكثر إثارة للاهتمام كانت اتصالات حوزير نفسها. في الأسابيع التي سبقت وفاتها، أصبحت رسائلها أقل عددًا وأكثر حذرًا. آخر مكالمة فيديو لها، مع يزفير بَهلير قبل ثلاثة أيام من وفاتها، استمرت أربع دقائق فقط. لم يسجل النظام محتواها، بل تفاصيل الاتصال فقط.

انتقل جهين إلى مراجعة تسجيلات الأمن، متتبعًا حركة الأشخاص في المنشأة ليلة وفاة حوزير. كانت "الأعطال" مثيرة للريبة بالفعل، حيث خلقت نافذة زمنية مدتها أربع ساعات يمكن خلالها لأي شخص زيارة مختبرها دون أن يُرصد. قبل وبعد تلك الفترة، أظهرت الكاميرات بوضوح من تحرك عبر الممرات.

ذهبت حوزير نفسها إلى قاعة الطعام في السابعة والربع مساءً، تناولت وجبة لوحدها بينما كانت تراجع بيانات على جهازها اللوحي، ثم عادت إلى مختبرها في الثامنة إلا ثمان دقائق مساءً. لم تظهر مجددًا في أي من التسجيلات بعد ذلك.

زارت الدكتورة لاميرا الجناح الشرقي لفترة وجيزة في التاسعة والنصف مساءً، حاملة ما بدا أنه مواد بحثية. غادرت بعد ربع ساعة وعلى وجهها علامات الاستياء.

ظهر سلمير جَلمير في التسجيلات في العاشرة والربع مساءً، يسير بخطى واثقة نحو مختبر حوزير. اختفى من المشهد عندما دخل الممر المعطل، ولم يظهر مجددًا على أي كاميرا أخرى حتى العاشرة وثمان وأربعين دقيقة مساءً، عندما عاد إلى غرفته.

تعطلت الكاميرات كليًا من الساعة الحادية عشرة ودقيقتين مساءً حتى الثانية وسبع عشرة دقيقة صباحًا، ثم استأنفت عملها فجأة. وفي الساعة الثانية وأربع وثلاثين دقيقة صباحًا، أظهرت التسجيلات باشميرة تدخل ممر الجناح الشرقي. بقيت هناك ثلاثًا وعشرين دقيقة قبل أن تغادر، وتعبيرها غير واضح بسبب إضاءة الليل الخافتة.

لم يظهر أحد آخر في التسجيلات حتى وصل روحبان في السادسة واثنتي عشرة دقيقة صباحًا لإجراء أعمال الصيانة، ثم هرع خارج المختبر بعد ثلاث دقائق، على الأرجح عقب اكتشاف جثة حوزير.

استند جهين للخلف، يستوعب ما راه للتو. بدأت الصورة تتضح، لكنها ازدادت تعقيدًا في الوقت نفسه. كانت حوزير قلقة بشأن شخص ما يتسلل إلى أبحاثها. ثلاثة أشخاص زاروا الممر المؤدي إلى مختبرها ليلة وفاتها، أحدهم خلال عطل مريب للكاميرات.

نهض جهين مقررًا أن خطوته التالية يجب أن تكون فحصًا مفصلًا للمختبر نفسه. إذا كانت حوزير قد قُتلت وهو يزداد يقينًا بذلك فإن طريقة القتل ظلت غامضة. لا آثار للعنف، ولا سم واضح.

وبينما كان يتجه نحو الباب، لفت انتباهه شيء بارز جزئيًا تحت سرير حوزير ذاكرة فلاش صغيرة، لا شيء يميزها سوى موقعها الغريب. انحنى والتقطها وقلبها بين أصابعه. لا علامات، لا تعريف. وضعها في جيبه بعناية. قد تكون لا شيء أو قد تكون كل شيء.

خيّم ليل الصحراء بظلامه التام على المنشأة، لا يكسر حلكته سوى أضواء الأمن. مشى جهين بخطى سريعة عبر الممرات الهادئة، مسلماً على الموظفين المناوبين في فترة الليل. كان الجميع يراقبونه بمزيج من الفضول والقلق. المنشأة المعزولة اكتسبت أجواء سجن منذ وفاة حوزير وأحد نزلائه... خطير.

في مختبر حوزير، استخدم جهين تصريح الدخول الذي منحه إياه يزفير. كانت الغرفة كما تركها تمامًا، الأجهزة تهمهم بهدوء، ونباتات الصحراء في أوعيتها الزجاجية تزدهر رغم غياب من ابتكرتها.

هذه المرة، ركز جهين على التفاصيل التي لم يلتفت إليها سابقًا. فحص محطة عمل حوزير بدقة، ملاحظًا المعدات المتخصصة للتحليل الجيني، والملاحظات المكتوبة بخط يدها باختصارات تكاد تشكل شفرة خاصة.

لفت انتباهه أحد الأوعية الزجاجية بشكل خاص. على عكس البقية التي احتوت نباتات ناضجة، احتوى هذا الوعاء على ما يبدو أنه شتلات براعم خضراء صغيرة تنبثق من الرمال. كانت مرتبة في نمط شبكي دقيق، خمسة وعشرين نموذجًا، كل منها مرقّم بكود خاص.

بجانب هذا الوعاء الزجاجي استقر جهاز غريب لم يتعرف عليه جهين يشبه جهاز ترطيب متطور، تتصل منه أنابيب بالبيئة المغلقة. عرضت شاشة رقمية قراءات متنوعة: درجة الحرارة، الرطوبة، مستويات ثاني أكسيد الكربون، وقيمة أخرى تحمل اختصار "AM".

انحنى جهين للأمام متفحصًا الجهاز عن قرب. بدا أنه يطلق كميات محسوبة من مادة ما في جو الوعاء الزجاجي ليس ماءً فحسب، بل نوع من المركبات الكيميائية. أشارت الإعدادات إلى برنامج آلي يعمل كل اثنتي عشرة ساعة.

ضيّق جهين عينيه وبدأت نظرية تتشكل في ذهنه. بعناية، فحص سجل المعلومات على الجهاز، الذي أظهر أنه تمت برمجته لإطلاق مركب جديد يحمل اسم "المركب إكس-٤٢" بدءًا من منتصف الليل في ليلة وفاة حوزير.

"ما الذي كنت تختبرينه يا دكتورة حوزير؟".

أجفله صوت حركة في الممر خارج المختبر، لكن لم يدخل أحد. كانت المنشأة ليلًا مليئة بمثل هذه الأصوات أنظمة التكييف وصرير هيكل متطور يصارع بيئة قاسية.

عندما عاد إلى محطة العمل، لاحظ جهين شيئًا فاته سابقًا دفتر ملاحظات صغير مخفي تحت كومة من أوراق البحث. على عكس دفاتر حوزير الأخرى، كان هذا مجلدًا بجلد أحمر، بدون أي علامات تعريفية على غلافه.

فتحه بحذر، فوجد ليس ملاحظات علمية بل ما يشبه مذكرات شخصية، منفصلة عن تلك الموجودة في غرفتها. كانت المداخل متقطعة، عاطفية وليست تحليلية.

لا أكاد أصدق ما اكتشفته. كان مجرد مصادفة تلوث في إحدى عينات التحكم لكن الآثار المترتبة عليه مذهلة. إذا تصرف هذا المركب في الكائنات الكبيرة كما يتصرف على مستوى الخلايا ، فنحن أمام اكتشاف قد يغير كل شيء. لم يعد الأمر مجرد امتصاص للكربون. بل أبعد من ذلك بكثير.

أخبرت يزفير اليوم بالنتائج الأولية. بدا مصدومًا، خائفًا تقريبًا. طلب مني الاحتفاظ بالأمر في سرية تامة ريثما نتأكد. قال إن حتى لاميرا يجب ألا تعرف. وافقت، لكنني مضطربة. هذا أكبر من المصالح التجارية الآن.

كانت آخر ملاحظة مكتوبة في اليوم السابق ليوم وفاتها::

النتائج مبهرة. المركب إكس-٤٢ يعمل تمامًا كما توقعت الابحاث. أعددت العرض التوضيحي للغد. لافراز مدروس في الوعاء الخامس. مع الصباح، سيكون لدينا دليل لا يقبل الشك. بعدها، لن يستطيع أحد منع هذا الاكتشاف من تغيير العالم. وإذا حاولوا... حسنًا، لقد اتخذت احتياطاتي. البيانات مؤمنة وموزعة لدى مصادر موثوقة. مهما حدث، ستظهر الحقيقة للعلن.

أغلق جهين الدفتر ببطء، وعقله يتسابق مع الاحتمالات. لقد اكتشفت حوزير شيئًا غير متوقع شيئًا يتجاوز نطاق أبحاثها الأصلية. شيئًا أثار حماسها وأخافها في آن واحد. شيئًا يستحق القتل من أجله؟

توجه إلى الحاسوب، لكنه كان كما توقع، مقفلًا ومشفرًا. أي بيانات يحتويها ستتطلب خبرة متخصصة للوصول إليها.

لكن ذاكرة الفلاش التي وجدها في غرفة حوزير قد تكون أكثر فائدة. أخرج حاسوبه المحمول من حقيبته وأدخل الذاكرة.

احتوت على ملف فيديو واحد، مسجل قبل يوم من موت حوزير. شغّله جهين، لتملأ الشاشة صورة وجه حوزير. بدت مرهقة لكن عازمة، وعيناها تتوهجان بإصرار.

"اسمي الدكتورة حوزير," بدأت. "إذا كنت تشاهد هذا التسجيل، فقد أصابني مكروه وتم تفعيل الإجراء الاحترازي الخاصة بي. ما سأكشفه الآن يجب أن يصل إلى الأوساط العلمية والجمهور، بغض النظر عن المصالح المؤسسية أو السياسية".

أخذت نفسًا عميقًا قبل أن تتابع. "أثناء تطوير نباتات محسنة لامتصاص الكربون للاستخدام في الصحراء، اكتشفت بالصدفة أن أحد المركبات المعدلة أطلقت عليه اسم إكس-٤٢ له خصائص غير متوقعة عند امتصاصه بواسطة الأنسجة الحية. إنه يوقف مؤقتًا تدهور الخلايا أي يجمّد عملية الشيخوخة على المستوى الجزيئي".

اقتربت حوزير من الكاميرا، وتعبيرها أكثر كثافة. "التداعيات هائلة. هذا يمكن أن يُحدث ثورة في الطب، ويمد أعمار البشر، ويغير نظرتنا للأمراض الانتكاسية. لكنه أيضًا قد يقلب موازين القوى العالمية، وصناعة الأدوية، وحتى مفاهيم الوفيات البشرية. سيقتل البعض للسيطرة على مثل هذه التقنية. وسيقتل آخرون لمنع وجودها من الأساس".

"لقد أمّنت بيانات البحث الكاملة في مواقع متعددة، مع تعليمات لزملاء موثوقين بنشر كل شيء إذا لم أرسل رمز تحقق محدد كل ٧٢ ساعة. لا ينبغي لأي جهة واحدة سواء كانت شركة أو حكومة أو غيرها أن تسيطر على هذا الاكتشاف. إنه ملك للبشرية جميعا".

نظرت خلفها، كأنها سمعت شيئًا، ثم اختتمت بسرعة: "لقد جدولت عرضًا توضيحيًا في الوعاء الزجاجي الخامس الليلة. بحلول الصباح، سيكون لدينا دليل مرئي على صحة النظرية. بعدها، سأبدأ عملية الكشف، بدءًا بمنظمة الصحة العالمية وهيئات علمية مستقلة. إذا لم أعش لأرى ذلك يحدث، فاتبع الأدلة. شخص ما سوف"

انقطع الفيديو فجأة.

جلس جهين مسمرًا في مكانه، يستوعب الآثار الهائلة. لم تكن حوزير تطور تقنية بيئية فحسب. لقد عثرت على شيء أكثر قيمة وخطورة بكثير. مركب يمكنه إطالة حياة الإنسان.

بدأت القطع تتساقط في أماكنها الصحيحة. برمجت حوزير جهازها لإطلاق المركب إكس-٤٢ في الوعاء الزجاجي عند منتصف الليل. علم شخص ما بهذا العرض التوضيحي ربما بالتنصت على محادثتها مع يزفير، أو بالتجسس على أبحاثها. قتلها ذلك الشخص ثم... ماذا؟ سرق المركب؟ أفسد العرض ؟

التفت جهين للنظر إلى الوعاء الزجاجي مرة أخرى. بدت الشتلات سليمة، بل مزدهرة. لو كانت قد تعرضت للمركب إكس-٤٢ كما كان مخططًا، فهل ستظهر عليها آثار واضحة؟ ما الذي توقعت حوزير بالضبط رؤيته في الصباح؟

خطرت له فكرة. تحرك لفحص الجهاز الصغير المتصل بالوعاء الزجاجي بعناية أكبر. أظهرت الشاشة أن البرنامج نُفذ في موعده، وأطلق المركب عند منتصف الليل. لكن عندما فحص الخزان الذي من المفترض أن يحتوي على المركب، وجده فارغًا لم يبدوا وكانه استخدم، بل جافًا تمامًا، كأنه قد تم تفريغه يدويًا.

لقد أزال شخص ما المركب إكس-٤٢ بعد قتل حوزير. وبدون هذا المركب، لم يكن العرض الذي خططت له ممكنًا. ومع ذلك، لا تزال الشتلات تبدو سليمة، بل أكثر حيوية مما يتوقع المرء لنباتات في عمرها.

إلا إذا...

ضيّق جهين عينيه مع ظهور احتمال جديد. ماذا لو كانت حوزير، بحذرها المتزايد قد نصبت فخًا؟ ماذا لو كان المركب إكس-٤٢ الحقيقي موجودًا في الوعاء الزجاجي منذ البداية، ربما في التربة نفسها، وكان الجهاز مصممًا لإطلاق شيء آخر محفز ربما لتنشيطه؟

كان بحاجة لمزيد من المعلومات، وهناك شخص واحد قد يملكها.

نظر إلى ساعته كانت قرابة منتصف الليل فحزم حاسوبه وذاكرة الفلاش، وتوجه بخطى واثقة نحو غرفة باشميرة. بصفتها مساعدة حوزير، قد تعرف أكثر مما كشفت عنه في البداية، خاصة في الجوانب التقنية للبحث.

وبينما سار عبر الممرات الصامتة، انتابه شعور قوي بأنه تحت المراقبة. الكاميرات، بالطبع لكن ربما أيضًا بعيون بشرية. فلقد أزعج توازن هذا المجتمع المعزول، وبدأ في كشف أسراره.

وفي مكان ما وسط الظلام، كان هناك قاتل يقرر ما سيفعله حيال ذلك.

الفصل الخامس: رمال متحركة

فتحت باشميرة بابها عند الطرقة الثالثة، واتسعت عيناها دهشة عندما وجدت جهين واقفاً هناك.

"سيد سُلهان؟ هل هناك خطب ما؟"

"أعتذر عن الساعة المتأخرة، آنسة باشميرة، لكن لدي بعض الأسئلة العاجلة حول أبحاث الدكتورة حوزير،" أجاب جهين. "هل يمكنني الدخول؟"

ترددت للحظة، ثم تنحت جانباً. كانت غرفتها مشابهة لغرفة حوزير من حيث التصميم لكنها أكثر شخصية أقمشة ملونة مغطية الأثاث، صور عائلية على الجدران، وكتب بالعربية والإنجليزية تملأ رفاً صغيراً.

"كنت أراجع لقطات الأمن،" بدأ جهين دون مقدمات. "لقد زرتِ مختبر الدكتورة حوزير في حوالي الساعة 2:30 صباحاً في الليلة التي توفيت فيها. لماذا؟"

شحب وجه باشميرة بوضوح، وهي ترمي بنفسها على الكرسي. "أنا....لم أذكر ذلك لأنني لم أرَ حوزير فعلياً حينها. كان المختبر فارغاً عندما دخلت".

"فارغاً؟" رفع جهين حاجبه. "ومع ذلك تم اكتشاف جثتها هناك بعد ساعات قليلة".

"أعرف كيف يبدو الأمر،" قالت باشميرة بسرعة. "لكنني أقسم، لم تكن هناك عندما تفقدت المكان. افترضت أنها عادت إلى غرفتها".

"لماذا كنتِ تتفقدينها أصلاً في مثل هذه الساعة؟"

تشابكت أصابع باشميرة بعصبية في حجرها. "لم أستطع النوم. كان لدي هذا... الشعور. كانت حوزير تتصرف بغرابة لأيام وبسرية، فلقد بدت متوترة تقريباً. في وقت سابق من تلك الليلة، ذكرت شيئاً عن عرض سيغير كل شيء. كنت فضولية، وقلقة عليها".

"إذن ذهبتِ إلى مختبرها، ووجدتِه فارغاً، وماذا بعد ذلك؟"

"نظرت حولي باختصار، لكن لم يبدُ شيء غير عادي. كان حاسوبها في وضع السكون، وملاحظاتها مرتبة بأناقة. غادرت بعد بضع دقائق وعدت إلى السرير".

درس جهين ملامحها بعناية. "هل كنتِ تعرفين عن المركب إكس-42؟"

نظرة الارتباك الصادقة على وجه باشميرة أوحت بأنها لم تكن تعرف. "المركب إكس-42؟ لا، لا أعرف عنه شيئا. هل هو جزء من تركيبة التقاط الكربون؟"

"بطريقة ما،" قال جهين بحذر. "اكتشفت الدكتورة حوزير أن له... خصائص إضافية. خصائص قد تكون قيّمة للغاية".

بدأ الفهم يظهر في عيني باشميرة. "هذا ما كانت تخفيه،" همست. "كانت تعمل على شيء ما في السر لأسابيع. اعتقدت أنها مجرد تحسينات للعملية الحالية، لكنها كانت تتصرف بسرية مفرطة".

"عندما كنتِ في مختبرها تلك الليلة، هل لاحظتِ أي شيء غير عادي حول الأحواض الزجاجية؟ خاصة ذلك الذي يحتوي على الشتلات المرتبة في شبكة؟"

فكرت باشميرة للحظة. "بدت طبيعية بالنسبة لي. صحية. كان جهاز المراقبة يعمل، وهذا ليس غير عادي. غالباً ما كانت حوزير تُعد التجارب لتعمل طوال الليل".

"وتعطل كاميرات الأمن هل كنتِ تعلمين بذلك؟"

ل"م أدرك ذلك إلا لاحقاً، عندما ذكره سلمير خلال التحقيق الأولي. بدا غريباً، لكن الأعطال التقنية قد تحدث هنا. فبيئة الصحراء قاسية على المعدات".

أومأ جهين ببطء. "سؤال أخير، آنسة باشميرة. هل ذكرت الدكتورة حوزير الإجراء الاحترازي' لكِ؟ شيئاً رتبته في حال حدث لها شيء ما؟"

تجعدت جبهة باشميرة. "لا، ليس تحديداً. لكن قبل شهر تقريباً، سألتني سؤالاً افتراضياً عن كيفية حماية البحث الحيوي إذا اعتقدت أن شخصاً ما قد يحاول

سرقته . اقترحت توزيع نسخ مشفرة إلى أشخاص موثوقين متعددين، مع بروتوكول التشغيل التلقائي في حالة الوفاة." صمتت لحظة. "هل فعلت ذلك فعلاً؟"

"يبدو كذلك،" أكد جهين. "رغم أن هوية هؤلاء الأشخاص الموثوقين تظل غير واضحة".

بدت فكرة تخطر لباشميرة. "كان هناك شيء آخر. قبل أسابيع قليلة، تلقت حوزير طرداً غير عادي لأن معظم الإمدادات تأتي في اوقات منتظمة. كانت شديدة السرية بشأنه، أخذته مباشرة إلى غرفتها. لم أرَ أبداً ما كان بداخله".

دوّن جهين ملاحظة للبحث في غرفة حوزير مرة أخرى بشكل أكثر دقة. "شكراً لصراحتك، آنسة باشميرة. أنصحك بتوخي الحذر. إذا قُتلت الدكتورة حوزير بسبب اكتشافها، فقد يكون أي شخص مرتبط بأبحاثها معرضاً للخطر".

شحب وجه باشميرة أكثر. "هل تعتقد حقاً أن شخصاً ما هنا قتلها؟ شخص نعمل معه كل يوم؟"

"إنه السيناريو الأكثر احتمالاً،" أجاب جهين بلطف. "المنشأة معزولة، والدخول والخروج محكم. توقيت وفاتها قبل العرض مجدول لاكتشافها من غير المرجح أن يكون مصادفة".

"لكن كيف؟ الدكتور باشيان لم يستطع العثور على سبب للوفاة".

"هذا بحد ذاته دليل،" قال جهين. "إنه يوحي بأسلوب متقن، لا يترك آثاراً واضحة. بالنظر إلى مجال خبرة الدكتورة حوزير، فعامل بيولوجي متعدل وراثياً يبدوا كاحتمال وارد".

بدت باشميرة مرعوبة. "هل تعتقد أن شخصاً ما استخدم أبحاثها الخاصة لقتلها؟"

" سيكون ذلك مثيرًا للسخرية، لكنه فعال،" اعترف جهين. "سأحتاج إلى فحص معدات مختبرها بعناية أكبر غداً".

بينما وقف ليغادر، أمسكت باشميرة ذراعه فجأة. "سيد سُلهان، إذا ابتكرت حوزير فعلاً شيئاً ثورياً، شيئاً يمكن أن يطيل حياة الإنسان، فيجب حماية أبحاثها. بغض النظر عمن قتلها أو لماذا، لا يمكن أن تضيع هذه المعرفة أو تُحجب".

درس جهين وجهها بتمعن. "العلم بدون أخلاقيات خطير، آنسة باشميرة. إذا كان هذا المركب بالفعل يعمل كما اعتقدت الدكتورة حوزير، فقد يغير المجتمع البشري للأفضل أو للأسوأ".

"كانت حوزير ستريد استخدامه بمسؤولية، لصالح البشرية،" أصرت باشميرة. "كانت عبقرية، لكنها كانت أيضاً ذات أخلاق رفيعة".

"إذن علينا أن نأمل أن تكون إجراءها الاحترازي بمستوى عبقريتها العلمية،" أجاب جهين. "ليلة سعيدة، آنسة باشميرة. أغلقي بابك".

بينما عاد إلى غرفة الضيوف المخصصة له، كان عقل جهين يعمل بحدة. اكتشفت حوزير مركباً بخصائص محتملة لإطالة العمر. خططت لعرض واتخذت احتياطات لحماية أبحاثها، وقُتلت قبل أن تتمكن من الكشف عن اكتشافها للعالم.

بقي السؤال: من بين المجموعة الصغيرة من الباحثين المعزولين كان لديه الدافع والوسائل والفرصة لارتكاب مثل هذه الجريمة؟ وأين المركب إكس-42 الآن؟

لم يأتِ النوم بسهولة تلك الليلة. كان تكييف الهواء يصدر طنينا، مما خلق ضوضاء بيضاء كان من المفترض أن تكون مهدئة لكنها بدت وكأنها تهمس بأسرار خارج فهمه. من خلال نافذته، امتدت الصحراء بلا نهاية تحت ضوء الهلال، قديمة العهد صبورة الطبع، غير مهتمة بالمآسي البشرية التي تُلعب على سطحها.

قبل الفجر بقليل، استيقظ جهين على طرق عاجل على بابه. عندما فتحه، وقف سلمير جَلمير هناك، ووجهه جاد.

"سيد سُلهان، حدث حادث آخر. عليك أن تأتي فوراً".

ارتدى جهين ملابسه بسرعة، وتبع سلمير عبر الممرات الصامتة إلى الجناح الشرقي. تجمع حشد صغير خارج مختبر حوزير حيث كان يزفير، والدكتورة لاميرا، والدكتور باشيان، وعدة أفراد من الأمن.

"ماذا حدث؟" سأل جهين وهم يقتربون.

"عملية اقتحام،" أجاب يزفير بتوتر. "تمكن شخص ما من اقتحام مختبر حوزير قبل حوالي أربعين دقيقة. انطلق إنذار الأمن، لكن بحلول وقت وصول فريقي، كان المقتحم قد اختفى".

"وماذا أخذ؟"

"هذه هي المسألة،" قال سلمير. "لا شيء يبدو مفقوداً. لكن شيء ما تُرك خلفه".

قاده إلى داخل المختبر. للوهلة الأولى، بدا كل شيء كما كان في الليلة السابقة فالمعدات كما هي، والأحواض الزجاجية سليمة. لكن على مكتب حوزير، موضوعة بشكل بارز في المنتصف، كانت قارورة زجاجية صغيرة تحتوي على سائل شفاف. مرفق بها ملاحظة مكتوبة بخط اليد:

الحقيقة لا يمكن دفنها إلى الأبد. هذا ما ماتت من أجله. اختر بحكمة.

"هل لمس أحد هذا؟" سأل جهين بحدة.

"لا،" أكد سلمير. "أمّنا مسرح الحدث على الفور".

درس جهين القارورة دون لمسها. "يبدو أن قاتلنا لديه ضمير بعد كل شيء. أو ربما يميل للدراما".

"هل تعتقد أن هذا هو المركب إكس-42؟" سأل يزفير.

"سيكون من الغريب إن لم يكن كذلك،" أجاب جهين. "السؤال الاهم هو، لماذا إعاده الآن؟ وإلى من هذه الرسالة موجهة؟"

"يجب تأمينه على الفور،" أعلن يزفير. "إذا كانت أبحاث حوزير صحيحة، فهذا المركب ذو قيمة لا تصدق".

"وخطيرة،" أضاف جهين، ناظراً مباشرة إلى يزفير. "وهذا بالتحديد سبب إنشاء الدكتورة حوزير لخطة الطوارئ الخاصة بها".

ارتسمت على وجه يزفير الدهشة و القلق. "كيف تعرف عن ذلك؟"

"أعرف أنها وزعت أبحاثها على أفراد موثوقين، مع تعليمات بنشرها علناً إذا حدث لها أي شيء،" أكد جهين. "ما لا أعرفه هو من هؤلاء الأفراد أو متى من المقرر نشرها".

"لم تشارك أبداً تلك التفاصيل معي،" قال يزفير، وتعبيره غير مقروء.

"ربما" تمتم جهين. "لكن شخصاً ما هنا يعرف أكثر مما يقول. القاتل بالتأكيد و ربما هناك آخرين أيضاً".

التفت ليخاطب المجموعة. "هذا التطور لا يغير شيئاً في تحقيقي. في الواقع، يؤكد ما اشتبهت به بالفعل فلقد قُتلت الدكتورة حوزير بسبب اكتشافها، وأخذ القاتل هذا المركب. حقيقة أنه تمت إعادته الآن تشير إما إلى الندم أو الى مناورة مقصودة".

"ماذا تعني بمناورة مقصودة؟" سألت الدكتورة لاميرا بحدة.

"فكر في التوقيت،" شرح جهين. "يعيد القاتل المركب بعد ساعات فقط من بدء طرحي أسئلة محددة عنه. ربما أدرك أن امتلاكه سيدينه في النهاية. أو ربما هذا تشتيت إعادة ما يبدو أنه المركب بينما يحتفظ بالشيء الحقيقي مخفياً".

"أنت تقترح أن هذا قد يكون مزيفاً؟" بدا سلمير منزعجاً.

"أقترح ألا نثق بشيء ولا بأحد حتى يكون لدينا دليل،" أجاب جهين بهدوء. "يجب تأمين القارورة وتحليل محتوياتها رغم أنني أشك في أن لدينا المعدات هنا للتحقق مما تحتويه فعلاً".

"يمكننا إجراء فحوصات أساسية،" عرضت الدكتورة لاميرا. "كافية لتحديد بنيته الجزيئية ولو أنها لن تعطينا صورة كاملة عن خصائصه".

"افعلي ذلك،" أمر يزفير. "مع كل الاحتياطات المناسبة".

بينما ناقش الآخرون كيفية التعامل وتحليل السائل الغامض بأمان انتقل جهين لفحص نقطة الدخول باب الخدمة في الجزء الخلفي من المختبر أظهر علامات دخول قسري. كان الضرر دقيقاً وبسيطاً مما يشير إلى شخص لديه معرفة بآلية القفل.

الأكثر إثارة للاهتمام، هو ما وجده جهين على الأرض بالقرب هي حبة رمل واحدة تلمع بشكل مختلف عن رمال الصحراء العادية التي تجد طريقها حتماً إلى كل ركن من أركان المنشأة. جمعها بعناية في كيس صغير للأدلة، رافعاً إياها للضوء. بدت ذات بنية بلورية، تقريباً مثل ماسة صغيرة.

واضعاً هذا الدليل الجديد في جيبه، انضم جهين إلى المجموعة مرة أخرى. "سيد بَهلير، سأحتاج إلى مقابلة الجميع مرة أخرى في ضوء هذا التطور. بدءاً بالسيد جَلمير، بما أن الأمن أصبح بوضوح مصدر قلق الآن".

أومأ يزفير. "بالطبع. استخدم مكتبي إنه أكثر راحة من قاعة المؤتمرات. سلمير، من فضلك تأكد من تواجد الجميع على مدار اليوم".

بينما تفرق الآخرون، أمّنت الدكتورة لاميرا القارورة بعناية في حاوية متخصصة. لاحظ جهين أن يديها كانتا ثابتتين تماماً، وحركاتها دقيقة عالمة معتادة على التعامل مع المواد الخطرة.

كانت شمس الصحراء تشرق الآن تصبغ المنشأة بألوان الذهب والكهرمان. يوم جديد يحمل كشوفات جديدة، أسئلة جديدة، مخاطر جديدة. كانت الحقيقة تتكشف ببطء كمشهد طبيعي تظهره الرمال المتحركة. غير أن الأسرار الأكثر أهمية ظلت مدفونة تنتظر من يملك عقلًا صبورًا بما يكفي لتصفية حبات الأدلة، حبة تلو الأخرى.

وجهين سُلهان لم يكن سوى الصبر بعينه.

الفصل السادس: سراب الحرارة

عكس مكتب يزفير بَهلير الرجل نفسه عصري، مصمم بعناية، مثير للإعجاب دون أن يكون مبهرجاً. وفرت النوافذ الممتدة من الأرض إلى السقف إطلالة بانورامية على الصحراء، بينما تميز الديكور الداخلي بأثاث أنيق ولمسات دقيقة من التصميم السعودي التقليدي. عرضت شاشة رقمية كبيرة على أحد الجدران بيانات في الوقت الفعلي من جميع أنحاء المنشأة—استخدام الطاقة، معدلات استعادة المياه، مقاييس البحث كانت كالنبض لهذه المحطة العلمية المعزولة.

جلس سلمير جَلمير بتصلب في الكرسي مقابل جهين، وزيه الأمني مثالي رغم الساعة المبكرة والأحداث الأخيرة.

"اشرح لي بروتوكولات الأمن لديكم، سيد جَلمير،" بدأ جهين. "خاصة فيما يتعلق بمختبر الدكتورة حوزير".

انتصب سلمير لا إرادياً. "تعمل المنشأة بأكملها على نظام متعدد المستويات. تحقق حيوي كبصمة الإصبع ومسح شبكية العين بالإضافة إلى بطاقات تعريف فردية. كان مختبر الدكتورة حوزير يتطلب أعلى مستوى من التصاريح، والذي كانت تملكه هي والسيد بَهلير فقط".

"ومع ذلك تمكن شخص من الدخول دون تصريح، الليلة الماضية وعلى الأرجح في ليلة وفاتها".

"نعم،" اعترف سلمير بتردد. "نحن نحقق في كيف كان ذلك ممكناً".

"هل يمكن تجاوز النظام؟"

"نظرياً، نعم. من قبل شخص لديه وصول إداري إلى بروتوكولات الأمن." شعر سلمير بعدم ارتياح. "ذلك سيكون أنا، السيد بَهلير، وسُلجاز مدير العمليات".

"أفهم،" دوّن جهين ملاحظة. "و'الأعطال' في نظام الكاميرات ليلة وفاة الدكتورة حوزير هل حددت سببها؟"

تردد سلمير قبل الإجابة. "ليس بشكل قاطع. أظهرت سجلات النظام تذبذباً في الطاقة في ذلك القسم، لكن من غير المعتاد أن تتأثر تلك الكاميرات دون غيرها".

"مما يشير إلى تلاعب متعمد بدلاً من عطل تقني،" استنتج جهين.

لم ينكر سلمير ذلك. "هذا أحد الاحتمالات التي ندرسها".

"وبخصوص الاقتحام هذا الصباح تم تشغيل الإنذار، لكن المتسلل هرب قبل وصول فريقك. كم استغرقت الاستجابة؟"

"ثلاث دقائق وأربعين ثانية من الإنذار إلى وصول أول أفراد الأمن للموقع،" أجاب سلمير بسرعة. "ضمن بروتوكولاتنا القياسية لمنشأة بهذا الحجم".

"وقت كافٍ لشخص يعرف التخطيط جيداً للدخول، ووضع القارورة، والخروج،" لاحظ جهين. "هل كانت هناك أي لقطات مفيدة للمتسلل؟"

"للأسف، لا. واجهت الكاميرات في ذلك الممر 'عطلاً' آخر خلال الفترة الزمنية التي حدث فيها الاقتحام".

رفع جهين حاجبه. "هذا يتجاوز كونه مجرد صدفة، سيد جَلمير".

"أوافق،" قال سلمير بوجه عابس. "لهذا السبب توليت شخصياً مراقبة نظام الأمن. لن تحدث أعطال أخرى دون علمي".

"ما لم تكن أنت من يخلقها،" أشار جهين بهدوء.

ولحسن حظه، لم يتراجع سلمير. "ملاحظة عادلة. لا يمكنني إلا أن أقدم كلمتي بأنني لست متورطاً في وفاة الدكتورة حوزير أو الاقتحام اللاحق. مهمتي حماية هذه المنشأة وكل من فيها. فشلت مرة. لا أنوي الفشل مجدداً".

درسه جهين للحظة، ثم غيّر الاتجاه. "أخبرني عن علاقة الدكتورة حوزير بالموظفين هنا. من منظور أمني، هل لاحظت أي صراعات أو توترات؟"

"لا شيء خطير بما يكفي للإشارة إليه " أجاب سلمير بحذر. "كانت الدكتورة حوزير... صعبة الإرضاء وصارمة. توقعت الكمال من نفسها ومن الآخرين. خلق هذا بعض الاحتكاك، بطبيعة الحال، لكن لا شيء بدا خطيراً".

"ومع ذلك فهي ميتة".

"نعم." تجهم تعبير سلمير. "مما يعني أنني أغفلت شيئاً جوهريا".

"أو أن شخصاً ما أخفاه جيداً،" اقترح جهين. "ماذا عن الزوار للمنشأة؟ أي شخص غير عادي في الأشهر الأخيرة؟"

"كان لدينا توصيلات الإمدادات المعتادة، اخصائي الصيانة، وزيارة واحدة للمجلس قبل شهرين. جميعهم تم فحصهم بدقة. الوصول الوحيد الغير معتاد كان توصيل خاص بساعٍ للدكتورة حوزير قبل ثلاثة أسابيع".

"نعم، ذكرت الآنسة باشميرة ذلك. هل تعرف ماذا احتوى؟"

"خضعت الرزمة لفحص أمني قياسي لا أسلحة، أو متفجرات، أو مواد محظورة. بعد ذلك، لا نفتش التوصيلات الخاصة".

"ومن صرَّح بهذا التوصيل الخاص؟"

"السيد بَهلير شخصياً".

دوّن جهين ملاحظة أخرى. "سؤال أخير للآن، سيد جَلمير. أين كنت خلال الاقتحام هذا الصباح؟"

"في غرفة مراقبة الأمن، أراجع لقطات من ليلة وفاة الدكتورة حوزير. يستطيع ضابط الفترة الليلية تأكيد وجودي".

"شكراً لك. أرجو إرسال الدكتورة لاميرا تاليا".

عندما غادر سلمير، تحرك جهين إلى النافذة، محدقاً في الصحراء. كانت شمس الضحى قد بدأت توقد الأفق بأشعتها، خالقةً رجفاتٍ حرارية تترقرق فوق الرمال، وولدة لآلئ من السراب تتراقص فوق رمال الصحراء، مغيرةً معالم الأفق مثل بحيرات خادعة وأبنية مستحيلة لا وجود لها إلا في اتحاد نور الشمس مع وهج الرمال وخيال الإنسان الظامئ.

تماماً مثل هذه القضية، تأمل جهين. ما هو حقيقي وما هو وهم؟ الأدلة، والشهادات، والعلاقات كلها تتلألأ وتتحول عندما يقترب منها. ومع ذلك، تحت السرابات، ستكون هناك أرض صلبة. كما كان الأمر دائماً كذلك.

دخلت الدكتورة لاميرا بكفاءة سريعة تطابق مظهرها معطف مختبر مكوي بإتقان، شعر مخطط بالفضة مسحوب للخلف وكانت حركاتها دقيقة.

"دكتورة لاميرا، شكراً على قدومك،" قال جهين، عائداً إلى مقعده. "أفهم أنك بدأت بتحليل محتويات القارورة؟"

"نعم. الاختبارات الأولية جارية، لكن سيستغرق الأمر وقتاً للحصول على نتائج ذات معنى بالمعدات التي لدينا هنا".

"ما هي انطباعاتك الأولية؟"

ترددت. "تبدو المادة عضوية المنشأ، بتركيب جزيئي معقد غير مشابه لأي شيء في قواعد بياناتنا القياسية. مع ذلك، لا يمكنني القول دون مزيد من التحليل".

"هل يمكن أن يكون هذا المركب إكس-42 الذي اكتشفته الدكتورة حوزير؟"

احتفظت الدكتورة لاميرا بتعبير وجه محايد تماماً. "هذا وارد. كما أنه من الوارد أن تكون مجرد ماء به شوائب معدنية. في هذه المرحلة، لا نعرف ببساطة."

"أفهم." نقر جهين بقلمه على دفتر ملاحظاته. "أنك والدكتورة حوزير كنتما زميلتين قبل هذا المشروع".

"نعم، عملنا معاً في معهد أبحاث البيئة في الرياض قبل ثماني سنوات. عندما كان يزفير يجمع فريقه لمشروع إزهار الصحراء، رشحتني حوزير لمنصب الكيمياء الحيوية".

"وعلاقتكما الشخصية؟"

ضاقت عينا الدكتورة لاميرا قليلاً. " كانت علاقتنا مهنية يسودها الاحترام المتبادل. لم نكن أصدقاء مقربين، إن كان هذا ما تسأل عنه. لم تكن حوزير تهتم بتكوين صداقات حميمية".

"ومع ذلك من بين كل الموظفين هنا، عرفتها لأطول فترة".

"نعم." ترقرق شيء من اللين للحظة في قسمات الدكتورة لاميرا. "كانت ذات عقل فذ وشديدة الطموح. لا ترضى إلا بتخطي الحدود باستمرار. تلك الصفات جعل التعامل معها صعباً أحياناً، ، لكنه منحها أيضاً تفرداً لا يُضاهى".

"هل شاركتك اكتشافاتها الأخيرة؟"

"لا." بنبرة انكسار عبرت عن ما قد يكون شعوراً بجرحٍ دفينٍ. "أصبحت تميل للكتمان بشكل متزايد في الشهر الأخير. اعتقدت أنها طبيعة حوزير لطالما احتفظت بأوراقها قريبة حتى يكون لديها نتائج لا مجال للشك فيها. لم أدرك..." تلاشى صوتها في الفراغ.

"أنها ربما قامت باكتشاف يتجاوز النطاق الأصلي للمشروع؟"

"بالضبط. كانت حوزير مركزة على تقنية التقاط الكربون. تطوير أنواع نباتات قادرة على المساهمة في مكافحة التغير المناخي. إذا كانت قد اكتشفت بالصدفة شيئاً ذا أبعاد طبية، فذلك سيكون خارج نطاق ما كان متوقعاً".

"ومع ذلك فهي تحمل قيمة أعلى بكثير مما هي عليه" أبدى جهين ملاحظته.

"تجارياً، نعم،" وافقت الدكتورة لاميرا. ""غير أن حوزير لم تكن الاعتبارات المالية محركها الرئيسيان هدفها إيجاد حلول للتحديات، وأن تترك بصمة إيجابية في تاريخ البشرية".

"تطلع نبيل،" قال جهين. "ومع ذلك يبدو أن شخصاً ما اعتقد أن اكتشافها يستحق القتل من أجله".

"يبدو كذلك،" أجابت الدكتورة لاميرا، وصوتها فجأة متعب. "الجشع والخوف خاصيتان متأصلتان في البشر، سيد سُلهان، حتى في المجالات العلمي وربما فيها بشكل خاص غالباً ما تُثير الاكتشافات العظيمة أشد ردود الفعل قتامة".

"لاحظت الشيء نفسه في عملي،" اعترف جهين. "الآن، بخصوص ليلة وفاة الدكتورة حوزير. تُظهر لقطات الأمن زيارتك لمختبرها في حوالي الساعة 9:30 مساءً".

"نعم، أحضرت لها بعض نتائج الاختبارات التي طلبتها. معدلات نمو مقارنة للعينات النباتية القياسية والمعدلة".

"وكيف بدت في ذلك الوقت؟"

فكرت الدكتورة لاميرا في السؤال بعناية. "مشتتة. منشغلة. بالكاد اعترفت بالبيانات التي أحضرتها، وهو أمر غير معتاد كانت عادة دقيقة في مراجعة النتائج".

"هل ذكرت أي شيء عن العرض المخطط له للصباح التالي؟"

"لا، لا شيء محدد. قالت شيئاً عن أن 'الغد سيغير كل شيء،' لكنني افترضت أنها تشير إلى بعض تطور في بحوثها كالمعتاد".

"أفهم. وبعد مغادرة مختبرها، إلى أين ذهبت؟"

"إلى مختبري لإنهاء بعض العمل، ثم إلى غرفتي حوالي الساعة 11 مساءً".

"هل يمكن لأي شخص تأكيد مكان وجودك بعد الساعة 11 مساءً؟"

تصلب تعبير الدكتورة لاميرا قليلاً. "لا. أعيش وحدي، مثل معظم كبار الموظفين. نحن نقدر خصوصيتنا في بيئة معزولة كهذه".

أومأ جهين، مدوناً ملاحظة أخرى. "سؤال أخير، دكتورة لاميرا. في منظورك المهني، هل من الممكن ابتكار سم لا يترك أثراً في الجسم؟ شيء يمكنه التسبب بالوفاة دون أي علامات ؟"

لم تجب فوراً، متأملة السؤال بدقة علمية. "سيكون صعباً للغاية، لكن ليس مستحيلاً. بعض السموم العصبية تتحلل بسرعة بعد الوفاة. قد تستهدف بعض المركبات المهندسة وراثياً وظائف خلايا محددة بطرق لا يكتشفها علم السموم التقليدي." سكنت قليلا. "مجال خبرة حوزير نفسه علم الوراثة النباتية والكيمياء الحيوية قد يوفر بالفعل الأساس المعرفي لتصنيع مادة من هذا القبيل".

"إذن قد يكون القاتل استخدم أبحاثها ضدها".

"ممكن." وقفت الدكتورة لاميرا، معتقدة أن المقابلة منتهية بوضوح. "هل هناك أي شيء آخر، سيد سُلهان؟"

"ليس في الوقت الحالي. شكراً على حضورك، دكتورة لاميرا".

بعد مغادرتها، راجع جهين ملاحظاته، مضيفاً ملاحظات وروابط كما خطرت له. كانت الصورة تتضح، لكنها ما زالت غير مكتملة. اكتشفت حوزير شيئاً قيماً، وخططت للكشف عنه، وقُتلت قبل أن تتمكن من فعل ذلك. أخذ القاتل المركب، فقط ليعيده أو ما يدّعي بأنه هو. بعد أن بدأ تحقيق جهين بالتركيز عليه.

لكن لماذا؟ ومن؟

قدمت المقابلات المتبقية وجهات نظر إضافية لكن حقائق جديدة قليلة. أكد الدكتور باشيان أن حوزير أصبحت متزايدة السرية والعزلة في الأسابيع الأخيرة. اعترف سُلجاز بزيارة مختبرها ليلة وفاتها لكنه ادعى أنها كانت لمناقشة مخاوف أمنية حول

تجاربها الأخيرة. ذكرت روحيلة أنها سمعت حوزير في محادثة هاتفية حادة مع شخص ما خارج المنشأة قبل أسبوع من وفاتها، رغم أنها لم تستطع فهم التفاصيل.

بحلول منتصف النهار، كان جهين قد تحدث مع الجميع باستثناء يزفير بَهلير نفسه، الذي كان منشغلاً في إدارة المنشأة والتواصل مع المجلس حول التطورات الأخيرة. بينما انتظر جهين في المكتب عودة يزفير، وجد نفسه منجذباً مرة أخرى إلى النافذة، إلى جمال الصحراء القاسي خارجاً.

كانت الشمس في ذروتها الآن، والحرارة شديدة لدرجة أن الهواء نفسه بدا يتموج. لم يتحرك شيء حي عبر الرمال؛ حتى مخلوقات الصحراء تعرف كيف تبحث عن مأوى خلال هذه الساعات القاسية. ومع ذلك، هنا، في هذه الواحة التكنولوجية، يتحدى البشر قواعد الصحراء، خالقين فقاعة من الراحة والإمكانية في إحدى أكثر بيئات الأرض معاداة.

كان ذلك غروراً، ربم نفس الغرور الذي دفع علماء مثل حوزير لدفع الحدود، للبحث عن المعرفة بغض النظر عن العواقب. نفس الغرور الذي قد يكون دفع شخصاً ما لإسكاتها نهائياً عندما هددت اكتشافاتها..... ماذا؟ الأرباح؟ السلطة؟ النظام الطبيعي؟

فُتح الباب، مقاطعاً أفكاره. دخل يزفير بَهلير، يبدو متعباً لكن متماسكاً.

"سيد سُلهان، أعتذر عن التأخير. تطلب المجلس تقريراً كاملاً عن التطورات الأخيرة".

"اتفهم ذلك،" أجاب جهين، عائداً إلى مقعده. "هل أخبرتهم عن المركب إكس-42؟"

كان تردد يزفير قصيراً لكن ملحوظاً. "أبلغتهم أن الدكتورة حوزير ربما قامت باكتشاف غير متوقع يتجاوز نطاق بحثها الأصلي، وأن هذا قد يكون مرتبطاً بوفاتها. التفاصيل تبقى سرية حتى نتمكن من التحقق مما اكتشفته بالضبط".

"نهج حذر،" اعترف جهين. "رغم أنني أتساءل إذا كان شخص ما في المجلس يعرف بالفعل أكثر مما يجب ان يعرفه".

اصبح تعبير يزفير حادا "ماذا تعني؟"

"فكر في التوقيت،" شرح جهين. "تقوم الدكتورة حوزير باكتشاف مهم. تخبرك، لكنها تطلب السرية بينما تتحقق من النتائج. بعد ذلك بوقت قصير، تموت في ظروف غامضة، ويختفي اكتشافها. الآن يظهر مجدداً، تزامناً مع بدء التحقيق بالتركيز عليه. هذه ليست تصرفات قاتل متهور، بل شخص يخطط بدقة، شخص عنده ما يخشى فقدانه أو يطمح لكسبه".

"هل تظن أن الأمر يتعلق بتجسس تجاري؟ أو نوعًا من صراع النفوذ داخل الشركة؟"

"أعتقد،" قال جهين بحذر، "أن إطالة الحياة البشرية ربما تكون أكثر التقنيات قيمة يمكن تخيلها. ستتنافس عليها الدول. ستقتل من أجلها الشركات. أفراد بموارد كافية سيفعلون تقريباً أي شيء لامتلاكها".

ظل يزفير صامتاً للحظة، وتعبيره مضطرب. "عندما أخبرتني حوزير أول مرة عن اكتشافها، ذُهلت. كانت التداعيات... ساحقة. نصحتها بالحذر، وبالتحقق الدقيق قبل الإعلان عن أي شيء. لكنها كانت حازمة بشأن الاحتفاظ بزمام البحث، وحريصة على ضمان أن يعود بالنفع على البشرية بشكل واسع بدلاً من أن يصبح أداة للقلة المميزة." تنهد. "احترمت مثاليتها، حتى لو اعتقدت أنها ساذجة نوعاً ما".

"والآن؟" سأل جهين بهدوء.

"الآن أعتقد أنها كانت محقة في حذرها،" اعترف يزفير. "في صباح اليوم التالي لمحادثتنا، تلقيت مكالمة من والدي. سأل أسئلة غريبة عن بحث حوزير وعن أي مستجدات غير متوقعة. لم يشرح مطلقاً كيف علم بأن هناك تغييراً قد حدث".

"أخبره شخص ما،" استنتج جهين. "شخص كان لديه وصول لمحادثتك مع الدكتورة حوزير".

"يبدو كذلك لم أدرك العلاقة وقتها، لكن بالنظر إلى الوراء....." صمت يزفير فجأة وقد بدا منزعجاً بصدق.

"من بين موظفيك من لديه صلات بوالدك أو أعضاء المجلس الآخرين؟"

"عدة أشخاص، محتملاً. جنّد والدي الدكتور باشيان شخصياً عرفا بعضهما لسنوات. عائلة سُلجاز لديها روابط تجارية مع عائلتنا تعود لجيلين. حتى سلمير كان في الأصل جزءاً من فريق أمن والدي قبل أن أجلبه إلى هنا".

"علاقات مثيرة للاهتمام،" جهين "سؤال آخر، سيد بَهلير. التوصيل الخاص الذي تلقته الدكتورة حوزير قبل ثلاثة أسابيع صرحت به شخصياً. ماذا احتوى؟"

بدا يزفير مندهشاً من السؤال. "مكونات و معدات طلبتها لأبحاثها. أدوات تحليلية متخصصة لم تكن مشمولة في سلسلة التوريد المعتادة لدينا. لماذا؟"

"لأن التوقيت مهم في تحقيقات القتل،" أجاب جهين. "قبل ثلاثة أسابيع يتوافق مع وقت بدأت فيه الدكتورة حوزير بالتصرف بسرية أكبر، وفقاً لشهود متعددين. قد يكون هذا لحظة اكتشافها لنتائج ابحاثها لأول مرة".

"تعتقد أن التوصيل كان مرتبطاً بالمركب إكس-42؟"

"إنها احتمالية تستحق الاستكشاف،" قال جهين. "هل هناك قائمة بالضبط بما تم توصيله؟"

"يجب أن تكون موجودة. سأطلب من سلمير على الفور".

بينما وصل يزفير إلى هاتفه اندلعت ضجة في الممر خارجاً أصوات مرتفعة صوت أقدام تركض. انفتح الباب فجأة، واندفعت باشميرة، ووجهها شاحب من الصدمة.

"سيد سُلهان! الدكتورة لاميرا—انهارت في المختبر! الدكتور باشيان معها الآن، لكن الأمر يبدو تماماً مثل ما حدث لحوزير"!

تبادل جهين ويزفير نظرة قلق قصيرة قبل الاندفاع من المكتب. يبدو أن القاتل قد ضرب مرة أخرى وهذه المرة قد يشهد جهين تبعات ذلك مباشرة. أصبح البحث عن الحقيقة فجأة سباقاً ضد الزمن، مع حياة المزيد معلقة.

بينما هرعا عبر الممرات، كان عقل جهين يتنقل بالفعل بين الاحتمالات، الروابط، والدوافع. حرارة الصحراء في الخارج كانت حضوراً ثابتاً لا يرحم، لكن الخطر الحقيقي يكمن داخل هذه الجدران المكيفة والمتحكمة في المناخ. الطموح البشري، والخوف، والتخطيط أكثر فتكاً من أي تهديد طبيعي يمكن أن تنتجه هذه البيئة القاسية.

الفصل السابع: واحة الأسرار

تجلّت الفوضى في المختبر كلوحةٍ منظّمة من الارتباك المُحكم. كانت الدكتورة لاميرا ممدّدة على الأرض، جسدها متيبّس كصخرة صلبة، وعيناها مفتوحتان تُحدّقان في اللاشيء، كأنّهما تريان عوالم خفيّة لا يُدركها البشر. جثا الدكتور باشيان بجوارها، تتسارع أنامله المرتجفة في تفحّص علامات الحياة المتضائلة، بينما أحكم سلمير جَلمير وحارسان أمنيّان إغلاق المنطقة بإحكام. وظلّت القارورة الغامضة، تلك التي ظهرت في الصباح الباكر كزائرٍ غير مدعو، مستقرّة في وحدة احتوائها فوق طاولة العمل، كأنّها تراقب المشهد بصمتٍ قاتل.

"ما الذي جرى هنا؟" سأل يزفير بصوتٍ يُخالطه القلق ويكسوه الحدّة كسيفٍ مسلول.

رفع الدكتور باشيان رأسه، ووجهه يحمل سِمات الجدّية "انهارت قبل سبع دقائق تقريباً أثناء تحليلها للمركّب. أعراضها مطابقة تماماً لما أصاب الدكتورة حوزير لا سبب واضح يلوح في الأفق، مجرّد توقّف مفاجئ لمنظومة الجسد كأنّ ساعة الحياة قد توقّفت عن العمل".

اقترب جهين بخطوات متأنّية، يتأمّل وجه الدكتورة لاميرا بعينٍ فاحصة. تجمّدت تعابيرها في لحظة دهشة عابرة، لا في لحظة ألم، وقد اكتست بشرتها بظلالٍ زرقاء حول الشفتين وأطراف الأصابع، كلوحةٍ باردة.

"أهي على قيد الحياة؟" تساءل جهين بهدوء.

"بالكاد،" ردّ الدكتور باشيان، "نبضها يتراقص على حافة الهاوية، ويتناقص بمرور الوقت. أنفاسها سطحيّة كماءٍ ضحل، ولا استجابة منها لأي مؤثّر خارجي".

"أكانت ترتدي وسائل الحماية أثناء تعاملها مع القارورة؟" استفسر جهين، وعيناه تجوبان محطة العمل.

"بروتوكول الحماية كان مكتملاً،" أكّد سلمير، "قفازات، قناع، واقٍ للعينين. ظلّ المركّب محصوراً في وعائه طوال الوقت.

"إذن فكيف...؟" بدأت باشميرة سؤالها، ثم صمتت وقد علقت الكلمات في حنجرتها كأنّها خافت من إكماله، وعيناها مسمّرتان على زميلتها الصريعة.

جالت عينا جهين في أرجاء المختبر، تلتقط دقائق التفاصيل التي تغفل عنها الأعين العادية بعثرة خفيفة للأوراق في منضدة الدكتورة لاميرا، فنجان شاي نصف مملوء استقرّ بجوار حاسوبها كشاهد صامت، بطاقة الدخول المتدلّية من جيب معطفها المخبري.

"علينا نقلها إلى الجناح الطبي على الفور،" حثّهم الدكتور باشيان بإلحاح، "يجب أن أحاول استقرار حالتها قبل"

"قبل أن يطويها الموت كما طوى حوزير،" أكمل جهين بصوتٍ هادئ كهدوء الصحراء ليلاً. "نعم، افعل ذلك. لكن لا يمسّ أحد شيئاً في هذه الغرفة حتى أتيح لنفسي فحصها".

وبينما كان الفريق الطبي ينقل الدكتورة لاميرا بعناية إلى نقّالة طبيّة، التفت جهين إلى يزفير قائلاً: "أحتاج قائمة شاملة بكل من ولج هذا المختبر منذ اكتشاف القارورة في الصباح".

"يجري إعدادها الآن،" أجاب سلمير، "تُظهر سجلّات الأمن فقط الأشخاص المصرّح لهم — الدكتورة لاميرا نفسها، والدكتور سُلجاز الذي استشارته في التحليل لفترة وجيزة، وباشميرة التي ساعدت في الفرز الأوليّ".

وجّه جهين انتباهه إلى باشميرة، التي كانت تقف قرب الباب وارتعاشة خفيفة تسري في جسدها كنسمة صحراوية: "أساعدتِ الدكتورة لاميرا في تحليلها؟"

"نعم، في الساعة الأولى فقط،" أكّدت، "اضطررت للمغادرة لإتمام أعمالٍ لا تحتمل التأجيل في مختبري. كان ذلك قبل ساعتين تقريباً".

"وهل كانت الدكتورة لاميرا تتصرّف بشكلٍ طبيعي حينها؟"

"بالتأكيد. كانت منهجيّة، مركّزة تماماً كعادتها اليوميّة".

ومع حمل النقّالة التي تحمل الدكتورة لاميرا إلى الخارج، شرع جهين في فحصٍ دقيق للمختبر بحواسّه المرهفة. ظلّت القارورة ومحتواها الغامض آمنين في وحدة الاحتواء، لكن هذا لا ينفي أنها مصدر الخطر المميت. لاحظ المعدّات التي كانت تستخدمها الدكتورة لاميرا مطياف متطوّر، شرائح عيّنات دقيقة، حاسوب يُشغّل برنامج تحليل معقّد كمتاهةٍ رقميّة.

"ليبتعد الجميع عن محتويات هذه الغرفة،" أمر بحزمٍ لا يقبل الجدال. "سيد بَهلير، سأحتاج وصولاً كاملاً إلى مدوّنات أبحاث الدكتورة لاميرا وملفّات حاسوبها. وأريد محادثة الدكتور سُلجاز فوراً".

"سأرتب الأمر،" وافق يزفير، وقد اكتسى وجهه بظلال القتامة. "أينبغي علينا إخلاء المنشأة؟ إذا كان هناك نوع من السموم أو العوامل الممرضة"

"ليس الآن،" ردّ جهين، "حادثتان تستهدفان أفراداً محدّدين تشيران إلى هجوم موجّه بدقّة السهم، لا إلى تلوّثٍ عام ينتشر كالنار في الهشيم. قد يفتح الإخلاء باباً لهروب القاتل أو طمس آثار الجريمة".

"لكنّه قد ينقذ أرواحاً أخرى،" احتجّت باشميرة.

"صحيح،" اعترف جهين، "معضلة تستوجب الموازنة. لنطبّق إجراءات أمانٍ مُشدّدة لا يعمل أحد منفرداً، تُعدّ جميع الوجبات والمشروبات تحت أعينٍ رقيبة، فحوصات أمنيّة صارمة على كافة معدّات المختبرات".

بعد مغادرة يزفير وسلمير لتنفيذ هذه الإجراءات، التفت جهين إلى باشميرة: "أحتاج إلى خبرتك الآن، آنسة باشميرة. بصفتك المساعدة الأقرب للدكتورة حوزير، أنت تفهمين أبحاثها أفضل من أي شخصٍ آخر في هذه الواحة العلميّة".

انتصبت باشميرة واقفة بقامة مستقيمة، وكأنّها طردت شبح الخوف من روحها: "ما الذي تريد معرفته؟"

"هل يمكن لأبحاث الدكتورة حوزير أن تُنتج شيئاً قادراً على إحداث هذه الأعراض؟ مركّباً يقتل دون أن يترك أثراً، وقادراً على اختراق حصون الحماية المعتادة؟"

فكّرت باشميرة بعمق قبل أن تُجيب: "نظريّاً، نعم. كانت حوزير تعمل على قلويدات نباتيّة تمتلك القدرة على اختراق الأغشية الخلويّة. لو جرى تعديلها بالطريقة الصحيحة، فقد تتجاوز هذه المركّبات الحواجز الوقائية التقليديّة وتؤثّر في الأنظمة البيولوجيّة من جذورها".

"وهذا المركّب إكس-42 — ماذا تعرفين عن خصائصه الخفيّة؟"

"لا أملك معرفة مباشرة،" اعترفت باشميرة، "لكن استناداً إلى ما أخبرتني به وما استخلصته من مدوّنات حوزير، يبدو أنها اكتشفت مركّباً يستطيع تعليق تدهور الخلايا مؤقتاً. في جوهره، إيقاف عملية الشيخوخة في أساسها الجزيئي".

"هل يمكن تحويل مثل هذا المركّب إلى سلاح فتّاك؟ تعديله ليُسرّع تدهور الخلايا بدلاً من تعليقه؟"

اتّسعت عينا باشميرة وهي تستوعب مغزى السؤال، فقالت: "نعم... من الناحية النظريّة، عكس الآليّة قد يُسبّب موتاً الخلايا سريعاً. سيكون كمن يتقدّم في العمر عقوداً في دقائق معدودة".

"وهو ما قد يظهر خارجيّاً بصورة بسيطة كـ... توقّف. بلا عنف، بلا ألم، مجرد انقطاع للوظائف الحيويّة كشمعة تُطفأ فجأة،" استنتج جهين. "ربما قُتلت الدكتورة حوزير بنسخة مشوّهة من اكتشافها، فوقعت في شرك إبداعها".

"والآن الدكتورة لاميرا أيضاً،" همست باشميرة.

"ربما،" وافق جهين. "لكن لماذا استهدافها الآن بالذات؟ ما الذي اكتشفته في تحليلها الذي استحقّ إسكاتها؟"

قبل أن تتمكّن باشميرة من الرد، دخل الدكتور سُلجاز، وتعبيره متوتّر رغم تماسكه الظاهر. "سيد سُلهان أصحيح ما حدث للاميرا؟"

"للأسف نعم،" أكّد جهين. "حالتها حرجة وتبدو متطابقة مع حالة الدكتورة حوزير قبيل رحيلها".

بدا وجه الدكتور سُلجاز وكأنّه يشيخ أمام أعينهم. "هذا... أمر عصيٌّ على الفهم. لماذا لاميرا بالتحديد؟"

"هذا ما يتوجّب علينا تحديده بدقّة،" أجاب جهين. "تشاورتَ معها صباح اليوم حول تحليل القارورة الغامضة. هل شاركتك أيّ نتائج توصّلت إليها؟"

"لا شيء قاطع،" قال الدكتور سُلجاز. "أظهر التحليل الطيفي الأوّلي بنية جزيئيّة غير معهودة، لكنها احتاجت إلى مزيد من الوقت لإجراء تحليل شامل. ناقشنا منهجيّات التحليل فحسب، لا أكثر من ذلك".

"أبدت قلقاً؟ حماساً؟ خوفاً؟"

فكّر الدكتور سُلجاز في السؤال مليّاً: "أظهرت اهتماماً مهنيّاً، كما وصفت. كانت لاميرا دائماً العالمة المحترفة نادراً ما تدخل العواطف إلى ساحة عملها. لكن..." تردّد.

"لكن ماذا؟" حثّه جهين.

"وأنا أغادر، قالت شيئاً غريباً. قالت: 'سُلجاز، أعتقد أن حوزير ربما حقّقت النجاح فعلاً. هذا قد يغيّر كل شيء.' وعندما سألتها عمّا تقصد، هزّت رأسها فقط وقالت إنها تحتاج إلى مزيد من التحاليل قبل الخوض في تكهّنات".

دوّن جهين ملاحظة بهذا. "وهل تحدّثت عن هذه المحادثة مع أي شخص آخر لاحقاً؟"

"لا. عدت إلى مختبري واستأنفت عملي حتى وصلني نبأ انهيار لاميرا المفاجئ".

"شكراً لك، دكتور سُلجاز. أرجو أن تبقى قريبا في كان حان لدي استفسارات إذا لزم الأمر".

بعد مغادرته، وجّه جهين اهتمامه إلى محطة عمل الدكتورة لاميرا. كان حاسوبها لا يزال يعمل، يعرض برنامج نمذجة جزيئيّة معقّد. أظهرت الشاشة تمثيلاً ثلاثي الأبعاد لما يفترض أنه بنية المركّب، يدور ببطء ليكشف جميع زواياه كجوهرة تتلألأ تحت الضوء.

"أتستطيعين فهم هذا؟" سأل باشميرة، التي انتقلت لتقف بجانبه.

درست الشاشة بتركيز عميق: "إنه بلا شك مركّب عضوي، ذو تكوين هيكلي فريد لم أشهد مثله من قبل. الروابط الجزيئيّة هنا وهناك،" أشارت، "توحي بأنه قادر على التفاعل مع الحمض النووي للخلية بطرق غير تقليديّة، كأنه مفتاح مصمّم لقفل خاص".

"أهذا هو المركّب إكس-42 الذي نبحث عنه؟"

"لا يمكنني الجزم دون الرجوع إلى بيانات حوزير الأصليّة للمقارنة، لكن... بالتأكيد إنه ثوري في بنيته. لا يتطابق مع أي مركّب معروف في قواعد بياناتنا، كأنه قادم من عالمٍ علمي آخر".

أومأ جهين برأسه، ثم تابع بعناية فائقة فحص بقية محطة العمل. كان دفتر ملاحظات الدكتورة لاميرا مفتوحاً بجانب الحاسوب، وخط يدها الأنيق يملأ الصفحات بملاحظات وحسابات وتساؤلات كنقوش دقيقة. استوقفه الصفحة الأخيرة، المكتوب قبل انهيارها مباشرة:

تأكّدت من البنية التركيبية. آليّة العمل المفترضة استقرار التيلوميز؟ يجب التحقّق منها مقابل أبحاث حوزير الأصليّة. إذا كانت صحيحة، فالآثار المترتّبة مذهلة. لكن كيف عزلته؟ ولماذا فعلت

انتهت الصفحة فجأة، على الأرجح لحظة انهيار الدكتورة لاميرا.

"ما هو استقرار التيلوميز هذا؟" استفسر جهين.

"التيلوميرات هي الأغطية الواقية في نهايات كروموسوماتنا،" شرحت باشميرة. "تقصر طبيعيّاً مع تقدّمنا في العمر، وهي إحدى الآليّات الأساسيّة للشيخوخة على مستوى الخلية. استقرارها نظريّاً سيبطئ أو يوقف عملية الشيخوخة، كمن يمنح الجسد درعاً ضد سهام الزمن".

"إذاً كانت الدكتورة لاميرا تؤكّد أن هذا المركّب قادر فعلاً على تحقيق ما ادّعته الدكتورة حوزير إطالة حياة الإنسان وتمديد شبابه".

"يبدو كذلك،" وافقت باشميرة. "لكن ملاحظتها تشير إلى أسئلة حول طريقة عزل حوزير له، وشيء آخر لم تتمكّن من إكمال كتابته قبل أن يغشاها الظلام".

انتقل نظر جهين إلى فنجان الشاي على المكتب. "أكانت الدكتورة لاميرا معتادة على شرب الشاي أثناء عملها؟"

"نعم، باستمرار. شاي كرك، دون سكّر. كانت دقيقة للغاية في تحضيره، كطقسٍ يومي لا تحيد عنه".

بحذر شديد، مستخدماً قلماً، حرّك جهين الفنجان قليلاً لفحص محتوياته. كان الشاي لا يزال دافئاً، نصف مستهلك. "من أعدّ هذا الشاي؟"

"لست متأكّدة،" أجابت باشميرة. "لدينا مطبخ مشترك. عادة ما يُعدّ كل شخص مشروبه بنفسه، وفق ذوقه الخاص".

"نحتاج إلى تحليل هذا على وجه السرعة،" قرّر جهين. "كما يجب فحص دم الدكتورة لاميرا بحثاً عن سموم بينما لا تزال هناك فرصة للكشف عنها، قبل أن تتبدد".

أمّن بعناية الفنجان في كيس أدلّة من حقيبته، ثم واصل فحصه الدقيق للمختبر. كان هناك شيء يتردّد في ذهنه وصلة مفقودة، تفصيل ملحوظ لكن غير مفهوم بعد، كقطعة غائبة من لغز معقّد.

استقرّت قارورة المركّب إكس-42 المزعوم بمظهرها البريء في وحدة احتوائها، سائل شفّاف قد يكون ماءً أو شفاءً أو سمّاً قاتلاً. وكانت الملاحظة المكتوبة بخط اليد المرفقة بها الحقيقة لا يمكن دفنها إلى الأبد. هذا ما ماتت من أجله. اختر بحكمة. غامضة عن عمد أهي تحذير؟ اعتراف؟ تحدٍّ مفتوح؟

"خط اليد،" قال جهين فجأة، كمن تلقّى إلهاماً. "نحتاج إلى مقارنة هذه الملاحظة مع عيّنات من كتابة كل شخص في المنشأة، لعلّنا نكشف هوية صاحبها".

"سيستغرق ذلك وقتاً ليس بالقصير،" أشارت باشميرة.

"صحيح، لكنّه قد يقدّم لنا دليلاً قاطعاً. " توقّف جهين عندما رنّ هاتفه معلناً رسالة واردة. كانت من سلمير جَلمير الدكتورة لاميرا استعادت وعيها لفترة وجيزة. الدكتور باشيان معها. إنها تطلبك بإلحاح.

"علينا الذهاب إلى الجناح الطبي فوراً،" أعلن جهين. "الدكتورة لاميرا استعادت وعيها".

هرعا عبر الممرّات، والمنشأة الآن في حالة تأهّب قصوى. تحرّك الموظّفون في أزواج متلاصقة، دوريّات الأمن تجوب الأروقة بانتظام، وقد خيّم جوٌّ من اليقظة المتوتّرة محلّ التركيز العلمي المعتاد.

في الجناح الطبي، كانت الدكتورة لاميرا موصولة بأجهزة المراقبة التي تصدر صوتاً رتيباً، أنفاسها سطحيّة لكن مستقرّة. نظر الدكتور باشيان نحوهم عند دخولهم، وتعبيره يحمل تفاؤلاً حذراً.

"استعادت وعيها منذ خمس دقائق تقريباً،" أفاد. "تبدو حالتها مستقرّة، على عكس الدكتورة حوزير، التي تدهورت حالتها بسرعة البرق".

"الفارق أننا اكتشفناها مباشرة بعد التعرّض،" قال جهين. "بينما كانت الدكتورة حوزير وحيدة لساعات بعد تعرّضها للعامل المميت".

اقترب من السرير بخطوات متأنية. كانت عينا الدكتورة لاميرا مغلقتين، لكنهما رفرفتا وانفتحتا عندما اقترب منها. كانت نظرتها، رغم شعورها بالألم، يقظة ومركّزة.

"سيد سُلهان،" همست، وصوتها بالكاد مسموع كهمس النسيم. "استمع إليَّ بتركيز. الوقت المتبقّي لي محدود للغاية".

"وفّري قوّتك، دكتورة لاميرا،" حثّها جهين. "أنت تتلقّين العلاج المناسب".

هزّت رأسها بضعف ظاهر. "العلاج لن يُجدي. ليس لفترة طويلة على الأقل. أعرف ما يحدث لجسدي جيداً." أخذت نفساً متعباً. "المركّب حقيقي، لا وهم فيه. اكتشاف حوزير كان صادقاً. لكن ما أُعيد إلينا هذا الصباح ليس إكس-42 الحقيقي. إنه مشتق مختلف متشابه جزيئيّاً لكن معدّل في جوهره. ليس لإطالة الحياة، بل لإخمادها وإطفائها".

"من فعل هذا بكِ؟" سأل جهين بإلحاح آسر.

"لا أعرف هويّة الفاعل،" همست. "لكنني أعرف السبب. الشاي... كان طعمه غريباً. أدركت ذلك متأخراً جداً، بعد فوات الأوان".

"لماذا استهدفك أنت بالذات؟"

"لأنني تعرّفت على..... البنية التركيبية. عملت على شيء مشابه..... منذ سنوات خلت. أبحاث سرّية لم تر النور أو تُنشر أبداً." أصبح تنفّسها أكثر صعوبة، كمن يصارع ثقلاً هائلاً. "في غرفتي خلف لوحة جنيف خزنة صغيرة. رمزها هو... 18-42-07. أبحاث حوزير كاملة، أودعتها عندي كإجراء احترازي".

أغمضت عينيها لفترة وجيزة غلبها فيها الألم، ثم فتحتهما مجدداً بكثافة يائسة. "لا تثق بأحد، سيد سُلهان. حتى أولئك الذين يبدون فوق الشبهات كالجبال الراسية. الرهانات تفوق كل تصوّر".

"استريحي الآن،" قال جهين بلطف آسر. "سنصل إلى الحقيقة اعدك بهذا".

استطاعت الدكتورة لاميرا أن ترسم شبح ابتسامة على شفتيها الشاحبتين. "العلم دائماً يفعل... آجلًا أم عاجلًا." أرخت جفنيها مجددًا، وأشارت أجهزة الرصد إلى عودتها إلى غيبوبتها.

تحرّك الدكتور باشيان فوراً للتحقّق من علاماتها الحيويّة. "حالتها مستقرّة للآن، لكنني لا أستطيع التنبؤ إلى متى سيستمر هذا الاستقرار. مهما كان العامل المؤثّر، يبدو أنه يتقدّم ببطءٍ أكبر مما فعل مع الدكتورة حوزير".

"ابذل قصارى جهدك،" أمره جهين. "واختبر دمها بحثاً عن مركّبات غريبة فوراً، قبل أن يتلاشى آثارها".

خارج الجناح الطبي، التفت جهين إلى باشميرة. "نحتاج إلى الوصول إلى خزنة الدكتورة لاميرا فوراً، دون تأخير. وأريدك أن تفحصي ملاحظات أبحاث الدكتورة حوزير بمجرّد استرجاعها أنت الوحيدة القادرة على فكّ شفراتها وإدراك أهميّتها".

"سأقدّم كل عون ممكن،" وعدت باشميرة، وتعبيرها حازم رغم الخوف الجليّ في عينيها.

وبينما كانا يشقّان طريقهما إلى غرفة الدكتورة لاميرا، تسابقت الأفكار في ذهن جهين كسباق خيول محتدم. أصبحت الصورة أوضح الآن اكتشفت حوزير سرّاً

يطيل الحياة، كنبع الشباب الأسطوري. أودعت أبحاثها لدى لاميرا كأمانة محفوظة. قتل شخص ما حوزير، وسرق أو دمّر ما ظنّه النسخة الوحيدة من أبحاثها، ثم حاول القضاء على الدكتورة لاميرا عندما بدأت بتحليل المركّب الغامض المعاد.

لكن من يكون الفاعل؟ ولماذا أعاد مشتقّاً قاتلاً من المركّب. كشاهد صامت على جريمته؟

كانت غرفة الدكتورة لاميرا متقشّفة مثل المرأة نفسها عمليّة ومنظّمة مع لمسات شخصيّة قليلة كبصمات باهتة. كانت اللوحة التي ذكرتها معلّقة على الحائط فوق مكتبها لوحة مائيّة لبحيرة جنيف مع سلسلة جبال في الخلفيّة. أزالها جهين بعناية ليكشف خزنة صغيرة متوارية في الجدار كسرٍ مدفون.

باستخدام الرمز الذي قدّمته، فتح الخزنة ليجد علبة معدنيّة مختومة، بحجم كتاب ضخم تقريباً. بداخلها كان قرص صلب مقاوم للصدمات، يرافقه رسالة مكتوبة بخط يد حوزير، قبل أسبوع فقط من رحيلها الأبدي:

لاميرا العزيزة،

إذا كنتِ تقرئين هذه الكلمات، فاعلمي أن خطة الطوارئ قد دخلت حيّز التنفيذ. القرص المرفق يحتوي على كل أبحاثي حول المركّب إكس-42 كاملة، غير منقوصة، وغير معدّلة بأي شكل. إنها ثمرة عمر من الجهد، وإن جاءت عن طريق الصدفة أكثر من كونه دراسة وتخطيط.

أثق بك لضمان وصول هذه المعرفة إلى الأيدي الأمينة ليس أولئك الذين سيحتكرونها للمنفعة والسلطة، بل أولئك الذين سيوظّفونها لخير البشرية جميعا. إمكانية إطالة الحياة البشرية بعقود، بل ربما قرون، تأتي محفوفة بمسؤوليات أخلاقيّة هائلة بدأت للتو في تأمّلها.

توجد ثلاث نسخ أخرى، مودعة لدى أشخاص موثوقين خارج أسوار هذه المنشأة. إذا حدث لي ما لا يُحمد عقباه، فسينتظرون 30 يوماً قبل جعل البحث متاحاً للعلن.

هذا يتيح لك وقتاً كافياً للتحقّق من نتائجي والاستعداد للعاصفة الحتميّة التي ستعقب الإعلان.

كان حذرك دائماً يوازن اندفاعي المتهوّر. الآن أحتاج إلى تلك الصفة أكثر من أي وقت مضى. كوني حذرة، حكيمة، وفوق كل شيء، تذكّري أن المعرفة ملك للبشريّة كلهم، وليست حكراً على أفراد أو مؤسّسات.

بكل حب حوزير

"ثلاثون يوماً،" تمتم جهين. "توفيت الدكتورة حوزير قبل ثلاثة وعشرين يوماً. هذا يترك سبعة أيام فقط قبل أن تصبح أبحاثها معرفة عامة، بغض النظر عمّا يجري هنا".

"ما لم يكن الأمناء الآخرون قد تم نفيهم للموت أيضاً،" أشارت باشميرة بنبرة قاتمة .

"احتمال يستوجب أخذه بعين الاعتبار،" وافق جهين. "لكن في الوقت الراهن، قد يحمل هذا القرص الإجابات التي نبحث عنها بإلحاح والدافع وراء الهجومين المميتين".

أمّن بعناية القرص والرسالة في حقيبته. "نحتاج إلى حاسوب آمن ومعزول للوصول إلى هذه البيانات حاسوب غير متّصل بشبكة المنشأة".

"يمكننا استخدام نظام النسخ الاحتياطي للطوارئ في مركز الاتصالات،" اقترحت باشميرة. "صُمم ليعمل باستقلالية تامة إذا تعطّلت الأنظمة الرئيسيّة".

وبينما غادرا غرفة الدكتورة لاميرا، لمح جهين كاميرات الممر تتعقّب حركتهما بأعين إلكترونية لا تنام. كان ثمة من يراقب ربما ذات الشخص الذي حاول إسكات الدكتورة لاميرا عندما اقتربت كثيراً من كشف حجاب الحقيقة.

كانت شمس الصحراء قد بدأت رحلة غروبها الآن، مُلقية ظلالاً متطاولة كأصابع عملاقة عبر أرجاء المنشأة. كان الوقت ينفذ بأكثر من طريقة واحدة. كانت الدكتورة

لاميرا تكافح من أجل البقاء، وأبحاث حوزير على بعد أيام معدودة من الانكشاف للعالم أجمع، وفي مكان ما داخل هذه الواحة المعزولة، كان قاتل محترف يحسب خطوته التالية بدقّة كالساعة.

أمضى جهين سُلهان حياته المهنيّة في فكّ شفرات الخداع البشري، لكن نادراً ما كانت الرهانات عالية كما هي الآن. ليست حياة فرد واحد في كفّة الميزان فحسب، بل ربما مستقبل البشريّة وعمرها المديد. كانت الصحراء دوماً أرض التطرّفات جمال ساحر، خطر محدق، عزلة مطلقة. والآن أصبحت مسرحاً للعلم في أبهى صوره وأخطرها. القدرة على قهر الموت نفسه ربما، وكسر أغلال الفناء.

ومع مثل هذه القوة الخارقة يظهر حتماً أولئك الذين لا يتورّعون عن القتل للسيطرة عليها واحتكارها كالظمآن الذي يقتل طالبا بماء الحياة في قلب الصحراء.

الفصل الثامن: غضب الرمال

كان مقرُّ الاتصالات قائماً في جناحٍ حصينٍ من البناء الرئيسي، شُيِّدَ ليبقى صامداً حتى في أشدِّ ظروف الصحراء قسوةً. تكفّلت شبكاتُ الأقمار الصناعية المتعددة، وأنظمةُ الطاقة الاحتياطية، والخوادمُ المتكرّرة بأن تظلَّ واحةُ إزهار الصحراء متصلةً بالعالم الخارجي رغم انقطاعها عن العمران.

استقبلهم سلمير جَلمير عند المدخل، وقد ارتسمت على وجهه سِمةُ الاضطراب. "سيدي سُلهان، لقد نفَّذتُ ما طلبتَه من إجراءاتٍ أمنية. لم يَعدْ أحدٌ من الموظفين يعمل وحيداً، وباتَ إعدادُ الطعام تحت إشرافٍ مباشر، وضاعفتُ حركةَ الحراسة".

"شكرا لك"، أومأ جهين. "نحتاج إلى استخدام نظام النسخ الاحتياطي للطوارئ ذلك الحاسوب المعزول عن شبكتنا الرئيسية".

تردّد سلمير. "هذا يتطلب إذناً من السيد بَهلير. فالبروتوكول صارمٌ للغاية "

"الدكتورة لاميرا تُصارعُ الموتَ بعد تسميمها،" قاطعه جهين بحزم. "والدكتورة حوزير لفظت أنفاسَها بالفعل. أظنُّ أن المعلومات المخزّنة على هذا القرص قد تعيننا على منع المزيد من الهجمات وتحديد هويّة القاتل. الوقت ينفد".

بعد لحظةِ تفكير، أومأ سلمير. "اتبعني إذن. لكنني سأبقى حاضراً أثناء استعمالكَ للنظام. تلك هي الإجراءات الأمنية".

"لا بأس،" وافق جهين.

كانت محطة النسخ الاحتياطي للطوارئ قابعةً في غرفةٍ صغيرةٍ بلا نوافذ في الجزء الخلفي من مركز الاتصالات. محطة عملٍ واحدة تربعت على مكتب، منعزلة عن أي كوابل شبكية.

"هذا النظامُ منفصلٌ تماماً عن الشبكة العنكبوتية،" شرح سلمير وهو يشغله. "لا قدرةَ لاسلكية، لا رابط بالشبكة. يعملُ من محرك آمن يمسح ويعاد تثبيته بعد كل استخدام".

"هذا ما نريده،" قال جهين، وهو يخرج القرص الصلب من حقيبته. "الآنسة باشميرة ستعاوننا في التحليل التقني".

حين استقر النظام جاهزا، وصلت باشميرة قرص الدكتورة حوزير وشرعت في تصفح الملفات. وقد تبدلت ملامحها إعجابا مع تقدمها في استكشاف المحتوى.

"هذا لمعجزة!" همست. "توثيق حوزير في غاية الدقة. بيانات تجريبية وافية، تحليلات جزيئية، أطر نظرية كل ما يلزمُ لفهم المركب إكس-42 وإعادة إنتاجه إذا دعت الحاجة".

"هل يمكنك أن تلخصي لنا النتائج الرئيسية؟" سأل جهين، وهو يرصد من فوق كتفها.

تصفحت باشميرة عدة مستندات قبل أن تُجيب. "يبدو أنها اكتشفت المركب عرضا أثناء اختباراتها على نباتات الصحراء وتكيفاتها. كانت تسعى إلى تعزيز قدرة بعض النباتات العصرية على البقاء في ظروف قاسية من خلال تعديل استجابتها الخلوية للإجهاد. فأنتج أحد المتغيرات تأثيرا جانبياً لم يكن في الحسبان أوجد مركبا يجمد انحلال الخلايا في الكائنات التي خضعت للاختبار".

"فيطيل بذلك عمرها،" استخلص جهين.

"إطالة جوهرية،" أكدت باشميرة. "في نماذج الفئران التي درستها، لم تظهر العينات المعالجة أي علامات شيخوخة بعد ستة أشهر من المراقبة. حافظت العينات الخلوية على طول التيلومير المثالي ولم تبد أيا من علامات الإجهاد التأكسدي المرتبطة عادة بالهرم".

"وماذا عن الآثار الجانبية؟"

"تتجاوز كل تصور،" قالت باشميرة بجدية. "شركات الدواء، ومؤسسات التقنية الحيوية، والأثرياء باختصار سوق إطالة العمر لا تكاد تحصى إمكاناتها. من يظفر بزمام هذه التقنية ستكون له سطوة وثروة لم يشهد لها التاريخ مثيلا".

"دافع للقتل إن كان ثمة دافع،" علق جهين.

بينما واصلت باشميرة تمحيص الملفات، التفت جهين نحو سلمير. "ما هو وضع المنشأة الحالي؟ أهناك أي نشاط غير اعتيادي؟"

"الأمور تسير على ما يرام،" أفاد سلمير. "الدكتور باشيان يتابع حالة الدكتورة لاميرا، وهي مستقرة لكنها حرجة. تطوع الدكتور سلجاز للمساعدة في تحليل فنجان الشاي الذي عثرت عليه. والجميع ملتزمون بتعليمات الأمان ويواصلون الأعمال الأساسية".

"والسيد بهلير؟"

"في مكتبه، يتواصل مع المجلس. إنهم... قلقون بشأن هذه التطورات الأخيرة".

"هذا ما كنت أتوقع،" تمتم جهين.

جذبت صيحةٌ مفاجئةٌ من باشميرة انتباههم مجدداً إلى الشاشة. "انظر إلى هذا لقد ضمنت حوزير سجلات مصورة لبحثها. وهذا التسجيل من قبيل وفاتها مباشرة".

فتحت ملف الفيديو، فظهر وجه الدكتورة حوزير، تبدو منهكة لكن متوهجة بعزم راسخ.

"اليوم السابع والأربعون بعد المائة من تجارب المركب إكس-42،" بدأت. "ما زالت النتائج تتخطى كل التوقعات. تحدث إعادة تشكيل الخلايا بمعدلات لم نشهدها من قبل، دون آثار جانبية ملحوظة في الثدييات التي هي قيد الاختبار. تشير الدلائل إلى أن الآلية الجزيئية تتضمن تفاعلاً غير مسبوق مع إنزيم التيلوميراز، مما يمنع عمليا تقصر التيلومير مع إصلاح التلف القائم في الحمض النووي في آن واحد".

عدلت موضع الكاميرا قليلاً، وتحول تعبير وجهها ليصبح أشد رصانة. "غير أنني اكتشفت أمرا مقلقا. عند تعديل المركب ولو بصورة طفيفة بتغيير رابطتين جزيئيتين فحسب ينعكس تأثيره انعكاساً تاماً. فبدلا من أن يهتم بسلامة الخلايا، يسارع في انهيارها بشكل كارثي. أطلقت على هذا المتغير اسم إكس-42-أوميغا، وأمنت جميع

العينات في وحدة احتواء المخاطر البيولوجية. ينبغي ألا يصنع هذا المتغير أو يختبر تحت أي ظرف كان. فاحتمالية استخدامه سلاحا هائلة".

نظرت حوزير مباشرة إلى الكاميرا، وقد اكتسى وجهها بجدية بالغة. "ناقشت مخاوفي مع يزفير، الذي يتفق على أن هذا الجانب من البحث ينبغي أن يظل مصنفا إلى أجل غير مسمى. منافع المركب الأساسي تفوق المخاطر كثيرا، لكن يجب وضع أطر أخلاقية ملائمة قبل النظر في أية تجارب بشرية أو تطبيقات تجارية. لقد أعددت مقترحا أخلاقياً شاملا ليرافق بيانات البحث عندما تُنشر في نهاية المطاف".

انتهى الفيديو، فنظرت باشميرة إلى جهين، وقد ارتسم القلق على وجهه. "إكس-42-أوميغا متغير قاتل من المركب. هذا على الأرجح ما كان في القارورة التي أعيدت إلى المختبر، وما سمم الدكتورة لاميرا".

"والدكتورة حوزير كذلك على الأغلب،" وافق جهين قولها "يبقى السؤال: من كان لديه المعرفة والفرصة لصنع هذا المتغير واستخدامه سلاحا؟"

قبل أن تتمكن باشميرة من الرد، ومضت الأضواء فجأة، وهز المبنى هدير مكتوم. بادر سلمير فوراً إلى جهاز الراديو الخاص به.

"مركز الأمن، أبلغ عن الوضع،" أمر. جاء الرد مشوبا بالتشويش.

"سيدي... عاصفة تقترب... من الدرجة الرابعة... وصولها المتوقع خلال 30 دقيقة بروتوكولات الطوارئ....."

تلاشت بقية الرسالة في انفجار من الضوضاء الشوشرة.

"عاصفة رملية،" فسر سلمير بوجه متجهم. "وهي كبيرة، استناداً إلى قراءات مقاييس الزلازل. علينا تفعيل بروتوكولات العاصفة فوراً".

"وماذا يشمل ذلك؟" سأل جهين.

"إغلاقاً تاماً للمنشأة. تفعيل المصاريع الخارجية. تشغيل أنظمة الطاقة الاحتياطية. توجه جميع الموظفين إلى مخابئ العاصفة المخصصة." كان سلمير يتحرك بالفعل نحو الباب. "سيصبح مركز الاتصالات غير آمن. يجب أن ننتقل إلى مركز القيادة المركزي".

أمن جهين القرص الصلب على عجلٍ بينما أغلقت باشميرة الحاسوب. وفيما هم يغادرون مركز الاتصالات، دوى صوتُ نظام الإذاعة في أرجاء المنشأة:

"تنبيه لجميع الموظفين. عاصفة رملية من الفئة الرابعة تقترب من ناحية الجنوب الغربي. وصولها المتوقع خلال 25 دقيقة. هذا ليس تدريباً. نفذوا بروتوكولات العاصفة بحذافيرها. أكرر، هذا ليس تدريباً".

امتلأت الممرات فجأة بحركة غايتها واضحة الموظفون ينطلقون لتأمين المعدات، وإغلاق المختبرات، والاتجاه نحو ملاجئ العاصفة المخصصة لهم. شق جهين وباشميرة وسلمير طريقهم عكس تدفق الناس إلى مركز القيادة المركزي.

"توقيت العاصفة مريب،" لاحظ جهين بصوت خافت مخاطباً باشميرة. "عاصفة كبرى ستعزلنا تماماً في اللحظة عينها التي اكتشفنا فيها أدلة حاسمة".

"عواصف الصحراء لا يمكن توقعها لكنها ليست نادرة،" أجابت، رغم أن تعابير وجهها أظهرت أنها فهمت ما يلمح إليه. "ولكن نعم، إنها... ملائمة بطريقة مثيرة للشك".

كان مركز القيادة المركزي يقع في قلب المبنى الرئيسي، غرفة محصنة تضم محطات مراقبة متعددة وأنظمة اتصالات. كان يزفير بهلير هناك بالفعل، يوجه استجابة العاصفة، بأسلوب هادئ ولكن حازم.

"سيد سُلهان،" أقر بوجودهم حين دخلوا. "آمل أن يمضي تحقيقك قُدُماً رغم هذا الانقطاع. قد تستمر العواصف الرملية الكبرى من ساعاتٍ إلى أيام".

"قد يُسرِّع الأمور في الحقيقة،" رد جهين. "فقد اكتشفنا أدلة مهمة على قرص صلب حفظته الدكتورة لاميرا بناء على طلب من الدكتورة حوزير".

ازداد وجه يزفير حدة واهتماماً. "أهي أبحاث حوزير؟"

"توثيق كامل للمركب إكس-42،" أكد جهين. "بما في ذلك متغيره القاتل، إكس-42-أوميغا، الذي نعتقد أنه استخدم في تسميم كل من الدكتورة حوزير والدكتورة لاميرا".

شحب وجه يزفير قليلا. "لقد ذكرت لي أمر المتغير، لكنني لم أعلم قط أنه جرى تحويله إلى سلاح. هذا... مقلق للغاية".

"حقاً،" وافق جهين، يراقب يزفير بحذر. "خاصة أن عدداً محدوداً من الناس كان لديهم كل من المعرفة بوجوده والخبرة اللازمة لتصنيعه".

قبل أن يتمكن يزفير من الرد، أضاءت محطات المراقبة بتنبيهات جديدة. كانت العاصفة قد تسارعت، وأصبحت مقدمتها على بعد دقائق معدودة. على الشاشات، استطاعوا رؤية الجدار الهائل من الرمال يقترب — سحابة متصاعدة من لون بني مائل إلى الحمرة تمحو الأفق، وتبتلع الصحراء في طريقها.

"إجراءات الإغلاق النهائية،" أمر يزفير. "جميع الأنظمة الخارجية إلى وضع التأمين. التحول إلى الطاقة الاحتياطية فوراً".

خفتت الأضواء لوهلة قصيرة، ثم استقرت حين انتقلت المنشأة إلى أنظمة الطاقة المستقلة. أظهرت كاميرات المراقبة الخارجية اقتراب العاصفة بصورة دراماتيكية حتى أظلمت واحدة تلو الأخرى مع إغلاق المصاريع الواقية عليها.

"ستصل العاصفة إلينا في غضون ثلاث دقائق تقريباً،" أفاد أحد فنيي المراقبة. "تم حصر جميع الموظفين باستثناء... الدكتور سلجاز. ما زال في المختبر".B3

"أوصلوه إلى المأوى فوراً،" أمر يزفير.

"تمت محاولة الاتصال، سيدي. لا استجابة".

تبادل جهين نظرةً سريعةً مع باشميرة. "المختبر — B3 ماذا كان يفعل الدكتور سلجاز هناك؟"

"يحلل فنجان الشاي، كما طلبت،" أجاب سلمير. "إنه مجهز بمعدات متطورة لتحليل السموم".

"سأذهب أنا،" قرر جهين على الفور. "آنسة باشميرة، ابقي هنا مع القرص. سيد جلمير، رافقني".

رغم اعتراضات يزفير بشأن بروتوكولات السلامة، انطلق جهين وسلمير من مركز القيادة. باتت الممرات الآن خاوية بشكل موحش، وحل محله هدير المعدات المعتاد أنين متصاعد للرياح مع ابتلاع العاصفة للمنشأة شيئاً فشيئاً.

"المختبر B3 موجود في الجناح الشرقي،" شرح سلمير وهما يسرعان عبر الممرات. "يشكل جزءاً من قسم الأبحاث المتخصصة".

بدأ المبنى يهتز مع وصول مقدمة العاصفة. تجلى غضب الصحراء في هدير عميق متواصل تقطعه طقطقات حادة إذ ترتطم حبيبات الرمل بالجدران الخارجية بسرعات هائلة.

"المنشأة مصممة لتتحمل عواصف من الفئة الخامسة،" صاح سلمير فوق الضوضاء المتزايدة. "لكن حتى مع ذلك، فإن الجناح الشرقي معرض بصورة خاصة. إن موقعه"

انقطع شرحه حين استداروا حول زاوية ووجدوا أنفسهم وجهاً لوجه مع الدكتور سلجاز ليس في المختبرB3 ، بل خارجاً من مختبر الدكتورة حوزير الأصلي، يحتضن شيئاً إلى صدره.

"دكتور سلجاز،" ناداه جهين بحدة. "لماذا لست في ملجأ العاصفة؟"

تسمر عالم الجيولوجيا في مكانه للحظة، ثم تمالك نفسه. "سيد سُلهان. كنت أؤمن بعض المواد الحساسة قبل التوجه إلى الملجأ." ارتدت عيناه لوهلة إلى سلمير، ثم عادت إلى جهين. "لقد وصلت العاصفة بأسرع مما كان متوقعاً".

"بالفعل،" أقر جهين، وعيناه تنزلقان إلى ما يحمله سُلجاز — حقيبةٌ معدنية صغيرة. "وما هي طبيعة هذه المواد التي تؤمنها بالضبط؟"

اجتاح المبنى ارتجاف، أقوى من سابقه. ومضت الأضواء بطريقة مقلقة.

"يجب أن نصل إلى الملجأ دون إبطاء،" حثَّهم سلمير. "هذا القسم ليس محصناً تحصيناً كافياً ضد عواصف الفئة الرابعة".

"نعم، بالطبع،" أومأ الدكتور سُلجاز، متحركاً للانضمام إليهما. وفيما هو يفعل ذلك، لاحظ جهين الحذر البالغ الذي يتعامل به مع الحقيبة المعدنية، كأن محتوياتها شديدة الهشاشة أو الخطورة.

كانوا قد استداروا للعودة نحو القسم المركزي حين ضربت قوة العاصفة الكاملة المنشأة. كان التأثير أشبه بضربةٍ مادية تأوه المبنى، وانقطعت الأضواء تماما، ولعدة ثوان مرعبة، بدا أن أنظمة الطوارئ تتردد قبل أن تنشط الإضاءة الاحتياطية، مغلفةً الممر بتوهج أحمر خافت.

"الجناح الشرقي معرَض للخطر هيكلياً،" أعلن صوت آلي عبر نظام الطوارئ. "بدء بروتوكولات عزل الأقسام".

"علينا بالإسراع،" حثهم سلمير، مندفعاً للجري. "عندما تفعل بروتوكولات العزل، فإن الحواجز الطارئة ستـ"

غطّى هدير رعدي على كلماته بينما، أمامهم، بدأ حاجز معدني ضخم بالنزول من السقف، صمم لإغلاق أقسام المنشأة في حالة الخرق.

"اركضوا!" صاح جهين، مندفعاً نحو الفجوة المتضائلة.

سابقوا الحاجز النازل، والأضواء الطارئة الحمراء تلقي بوميضها الغريب على وجوههم. تعثَّر الدكتور سُلجاز، وكادت الحقيبة المعدنية تنزلق من قبضته. أمسك جهين بذراعه، دافعاً إياه للأمام بينما انزلق سلمير تحت الحاجز، الذي أصبح الآن على ارتفاع أربعة أقدامٍ فقط من الأرض.

بدفعة يائسة أخيرة، دفع جهين الدكتور سُلجاز عبر الفجوة وانقض خلفه، متدحرجاً تحت الحاجز قبل أن يغلق بدوي جلجل صداه في أرجاء الممر.

للحظة، استلقوا هناك، يلتقطون أنفاسهم بينما تعصف العاصفة بالمنشأة. استمر المبنى في الاهتزاز، ولكن بعنف أقل الآن وهم في القسم المركزي المحصن.

"كان هذا... خطراً للغاية،" تمتم سلمير، وهو ينهض على قدميه.

نهض جهين بتمهل أكبر، وعيناه لا تفارقان الدكتور سُلجاز، الذي أصبح يحتضن الحقيبة المعدنية بإحكام أشد الآن. "بالفعل. وتوقيت مثالي لمن يرغب في الوصول إلى مختبر الدكتورة حوزير دون رقيب، في خضم فوضى الاستعدادات للعاصفة".

تصلبت ملامح الدكتور سُلجاز. "لا أفهم ما تلمح إليه، سيد سُلهان. كنت فقط أؤمن مواد بحثية ثمينة، وهو ما تقتضيه مسؤوليتي خلال بروتوكولات الطوارئ".

"إذن فلن تمانع في كشف ما تحتويه الحقيبة،" اقترح جهين بهدوء.

ساد صمت متوتر، لا يقطعه سوى العويل المكتوم للعاصفة والصرير العرضي لهيكل المبنى. ابيضت مفاصل الدكتور سُلجاز حول مقبض الحقيبة.

"هذه تحتوي على مواد ملكية حساسة،" قال بتيبس. "لست مخولاً بـ"

"لا توجد اعتبارات ملكية تتجاوز سلطة التحقيق في جريمة قتل،" قاطعه جهين. "خاصةً والضحية الثانية تصارع الموت".

هز ارتجاف آخر المبنى، وطقطق راديو سلمير برسالة عاجلة من مركز القيادة "جَلمير، أبلغ عن الوضع فوراً. أجهزة استشعار الجناح الشرقي تشير إلى خرق محتمل".

رفع سلمير الراديو. "جَلمير هنا. نحن في أمان في الممر المركزي .C4 تم إغلاق الجناح الشرقي بواسطة حواجز الطوارئ. الدكتور سُلجاز معنا".

"عد إلى مركز القيادة فوراً،" جاء الرد. "شدة العاصفة تتزايد. تم تأكيد أنها من الفئة الخامسة الآن".

"علينا بالتحرك،" حثَّهم سلمير، متجهاً نحو الممر.

أومأ جهين للدكتور سُلجاز. "تفضل، دكتور".

بتردد واضح، تحرك سُلجاز ليتبع سلمير، ولم يزل يحمل الحقيبة بحرص شديد. سار جهين خلفهما، وذهنه يتسابق. وفرت العاصفة غطاءً مثالياً لشخص ما للوصول إلى المناطق المقيدة في عز الارتباك لكن ماذا كان الدكتور سُلجاز يبحث عنه في مختبر حوزير؟ وماذا وجد؟

كان مركز القيادة خلية من النشاط المنضبط عند وصولهم. راقب الموظفون تأثير العاصفة، وتقارير الأضرار، وأنظمة المنشأة. رفع يزفير نظره إليهم بحدة حين دخلوا، وقد ارتسمت علامات الارتياح على وجهه.

"الحمد لله على سلامتكم. مستشعرات الجناح الشرقي تظهر إجهاداً هيكلياً يتجاوز معايير السلامة".

"الحواجز أغلقت ذلك القسم،" أفاد سلمير. "ولا يوجد موظفون باقون في المناطق المعرضة للخطر".

تحول انتباه جهين إلى باشميرة، التي وقفت بجوار إحدى محطات المراقبة، ولم تزل تمسك بالقرص الصلب الذي استعادوه بإحكام بين يديها. تلاقت أعينهما للحظةٍ وجيزة، وأومأت بحركة تكاد لا ترى "البحث في أمان".

"دكتور سُلجاز،" نطق يزفير، ملاحظاً الحقيبة في يدي الجيولوجي. "ماذا كنت تفعل في الجناح الشرقي؟ لقد حاولنا الاتصال بك".

قبل أن يتمكَّن سُلجاز من الرد، تقدم جهين. "وجدنا الدكتور سُلجاز وهو يخرج من مختبر الدكتورة حوزير. ولم يشرح بعد طبيعة ما يحمله في تلك الحقيبة".

توجهت جميع الأعين إلى سُلجاز، الذي بدا وكأنه يستجمع ثباته تحت وطأة الأنظار المحدقة. بعد لحظة تردد، وضع الحقيبة على وحدة تحكم قريبة وفتحها.

بداخلها، راقدة في رغوة واقية، كانت عدة قواريرَ من سائل شفاف، كل منها لديه رمز، وجهاز إلكتروني صغير يشبه قارئاً متخصصاً من نوعٍ ما.

"هذه عينات من تجارب حوزير الأخيرة،" شرح الدكتور سُلجاز. "حين جاء تنبيه العاصفة، أدركت أنها ستكون عرضة للخطر إذا تضرر الجناح الشرقي. إنها لا تقدر بثمن ربما كانت العينات المادية الوحيدة المتبقية من عملها".

"وأخذت على عاتقك استردادها،" لاحظ جهين. "دون تصريح أو إخطار".

"لم يكن هناك وقت للإجراءات السخيفة،" ردَ سُلجاز بموقف دفاعي. "هذه العينات قد تكون المفتاح لفهم ما اكتشفته حوزير حقاً وما أودى بحياتها".

اقترب يزفير، متفحصاً القوارير. "أهي...؟"

"أعتقد أن إحداها على الأقل تحتوي على المركب إكس-42 الأصلي،" أكد سُلجاز. "أما الأخرى فهي متغيرات. كان نظام تسمية حوزير معقداً سيستغرق الأمر وقتاً لتحديد محتوى كل واحدة على وجه الدقة".

"كان ينبغي الإبلاغ عن هذا فور وفاة الدكتورة حوزير،" قال جهين، بنبرة متشددة. "لم لم يجر الكشف عن وجود هذه العينات للتحقيق؟"

ساد صمت غير مريح على مركز القيادة. أخيراً، تحدث يزفير.

"لأنها رسمياً، تلك العينات غير موجودة،" اعترف. "تجاوزت أبحاث حوزير المعايير المعتمدة. كان المجلس على علم بعمل التقاط الكربون لكن ليس بخصائص إطالة العمر التي اكتشفتها. طلبت وقتاً للتحقق من نتائجها قبل تقديم إفصاح رسمي".

"إذن أخفيتم أدلة حاسمة محتملة،" استخلص جهين.

"صنت بحثاً ثورياً ريثما نفهم آثاره،" رد يزفير. "عقدت وفاة حوزير الأمور تعقيداً هائلاً. احتجت إلى التأكد قبل استدعاء السلطات الخارجية".

هز ارتجاف عنيف آخر المبنى، قاطعاً النقاش مؤقتاً. ومضت محطات المراقبة بتنبيهات جديدة.

"سيدي، سلامة الجناح الشرقي الهيكلية عند 62% وآخذة في الانخفاض،" أفاد أحد الفنيين. "قسم المختبر E3 تعرض لخرقٍ جزئي. تم تفعيل أنظمة الاحتواء الآلية".

E3"ذلك هو مختبر حوزير الثانوي،" تنفست باشميرة بصعوبة. "حيث كانت توجد أوعية النباتات".

"ستمنع أنظمة الاحتواء تعرض أي مواد تجريبية للبيئة الخارجية،" طمأنها يزفير. "لكن هذا يؤكد سبب كون تصرفات الدكتور سُلجاز، رغم خروجها عن المألوف، مبررة. كان يمكن أن تفقد تلك العينات إلى الأبد".

ضاقت عينا جهين قليلا وهو يراقب التفاعلات. لم تخلق العاصفة مجرد فوضى مادية بل أحدثت تحولاً مثيراً للاهتمام في ديناميات التفاعل البشري أيضاً. تم تعليق التسلسلات الهرمية مؤقتاً في مواجهة الأزمة، كاشفةً عن تحالفاتٍ وتوترات كانت لتظل خافيةً لولاها.

"ربما،" أقر. "لكن التوقيت لا يزال مثيراً للشك. دكتور سُلجاز، كان من المفترض أن تحلل فنجان الشاي من مكتب الدكتورة لاميرا. هل أكملتَ ذلك التحليل قبل مهمة الإنقاذ المرتجلة هذه؟"

تشددت ملامح سُلجاز. "كنت قد بدأت للتو الاختبارات الأولية حين جاء تنبيه العاصفة. كانت النتائج غير حاسمة في تلك المرحلة".

"ما أيسرَ الصدف في هذا المكان،" علق جهين.

"سيد سُلهان،" تدخل يزفير، "بينما أتفهم شكوكك، إلا أننا في خضم كارثة طبيعية. ربما يمكن لهذا الاستجواب أن ينتظر حتى"

"لا يكف الناس عن كونهم قتلة خلال العواصف الرملية، سيد بَهلير" رد جهين بهدوء. "في الحقيقة، توفر مثل هذه الظروف فرصاً ممتازة لذوي النوايا الإجرامية. ارتباك، ورؤية محدودة، واتصالات معطلة ظروف مثالية للتخلص من الأدلة أو الشهود".

علقت الإشارة في الهواء، مما جعل الجميع في مركز القيادة يتململون بعدم ارتياح.

"وماذا تقترح؟" طالب الدكتور سُلجاز.

"فقط أنه ينبغي علينا تأمين هذه العينات، إلى جانب بيانات بحث الدكتورة حوزير،" قال جهين، مشيرا إلى القرص الصلب الذي ما زالت باشميرة تحمله. "معاً، يمثلان كلا من الدافع والوسيلة المحتملة للهجومين".

اهتز المبنى مرة أخرى، بعنف أكبر من ذي قبل. ومضت الأضواء بصورة مقلقة.

"نظام الطاقة المركزي معرض للخطر،" أعلن الصوت الآلي. "الانتقال إلى الاحتياط الثلاثي".

خفت مركز القيادة للحظة قبل أن تنشط الإضاءة الاحتياطية، ملقية بتوهج أزرق قاس على المكان.

"هذه العاصفة تتزايد شدتها بما يتجاوز المعايير المتوقعة،" أبلغ سلمير، دارساً أنظمة المراقبة. "يجب أن ننتقل إلى الملجأ الطارئ في المستوى السفلي الثاني. إنه أكثر المواقع أماناً في المنشأة".

"موافق،" أومأ يزفير. "ابدؤوا ببروتوكولات الإخلاء لجميع الموظفين غير الأساسيين. سينتقل فريق الأمن والموظفون الرئيسيون إلى الملجأ الطارئ مع المواد الحيوية".

مع انطلاق مركز القيادة في نشاط متجدد، اقترب جهين من باشميرة.

"حافظي على أمان ذلك القرص،" همس. "وابقي قريبة مني".

"سأفعل،" وعدت بصوت خافت. "لكن يا جهين، من تعتقد...؟"

"لدي نظريات،" أجاب همسا. "لكننا بحاجة إلى مزيد من الأدلة. كان تحليل فنجان الشاي سيكون ذا قيمة كبيرة".

"ربما ما زال بإمكاننا إكماله،" اقترحت. "الملجأ الطارئ يضم محطة أبحاث صغيرة للحالات الحرجة".

"ربما. لكن أولاً، نحتاج لتأمين تلك العينات التي 'أنقذها' الدكتور سُلجاز بطريقة مثيرة للشبهة".

مع بدء الإخلاء، لاحظ جهين كيف تولى يزفير شخصياً مسؤولية الحقيبة المحتوية على القوارير، موجهاً ضابطي أمن للبقاء حوله في جميع الأوقات. بدا الدكتور سُلجاز غير راضٍ لكنه لم يحتج. نسق سلمير حركة الموظفين، وكان تدريبه العسكري جلياً في أوامره الدقيقة.

أخذتهم الرحلة إلى الملجأ الطارئ عميقاً تحت المنشأة، عبر ممراتٍ محصنة صممت لتتحمل أقسى الظروف. أصبح هدير العاصفة أكثر بعداً مع توغلهم في الأعماق، رغم أن ارتجافات عرضية ما زالت تسري عبر الهيكل.

كان الملجأ نفسه مجهزاً تجهيزاً مذهلاً مساكن، ومرافق طبية، واتصالات، ومحطة أبحاث صغيرة لكن شاملة. يمكنه إيواء العاملين في المنشأة لأسابيع إذا لزم الأمر، مع نظم مستقلة للطاقة، والمياه، وتنقية الهواء.

"تم حصر الجميع،" أفاد سلمير بعد إكمال العد. "الفريق الطبي يجهز الآن. يجري نقل الدكتورة لاميرا من الجناح الطبي الرئيسي وحالتها لا تزال مستقرة".

"حسناً،" أقرَّ يزفير. "تظل بروتوكولات الأمان سارية. لا أحد يدخل أو يغادر الملجأ دون تصريح".

مع استقرار الموظفين في إجراءات الطوارئ التي تدرَّبوا عليها، انتهز جهين الفرصة لدراستهم جميعاً بعناية فائقة. ثمة شخص ما في هذه الغرفة أزهق روح الدكتورة حوزير وحاول قتل الدكتورة لاميرا. شخص ما كانت لديه أسباب محسوبة لقمع اكتشاف من شأنه أن يغير تاريخ البشرية. وذلك الشخص كان على الأرجح يشعر بضغط تحقيق جهين، وربما بات يائساً مع تراكم الأدلة.

قد تكون العاصفة المتوحشة في الأعلى تجسيداً للطبيعة في أقصى عنفوانها، لكن جهين يعلم أن الطبيعة البشرية خاصة عندما تحركها أهواء الجشع، أو الخوف، أو الطموح يمكن أن تكون أشد فتكا. يمثل الاختراق العلمي المحفوظ في تلك القوارير وعلى ذلك القرص الصلب قوة تتجاوز كل قياس. وعبر التاريخ، ضحى الناس بأرواح كثيرة من أجل ما هو أقل من ذلك بكثير.

وبينما تأمل المشتبه بهم المجتمعين في هذا الملجأ تحت الأرض، أدرك جهين أن العاصفة الحقيقية هي كشف النقاب عن القاتل وهي لم تندلع بعد. وعندما تندلع، فإن آثارها ستعيد تشكيل ليس فقط هذا المجتمع الصغير من العلماء، بل محتملاً مستقبل البشرية اجمع.

الفصل التاسع: سراب وحقيقة

تهامس ملجأ الطوارئ بهمسات النشاط المكتوم، وقد تآلف الموظفون مع ملاذهم المؤقت في أحشاء الأرض. كان الفريق الطبي قد أرقد الدكتورة لاميرا في العيادة الصغيرة، وظلت حالتها معلقة بين الحياة والموت، لا تشهد تحسناً ولا تدهوراً استقرار يشوبه الخطر والترقب، يراقبه الدكتور باشيان بعين حارسة لا تغفو.

وبعد أن أحكم تدابير الأمن، شرع يزفير في إنشاء مركز للقيادة داخل الملجأ، متابعاً تقييم الأضرار ومخططات الإصلاح رغم العاصفة الهائجة في الخارج. وأشارت أجهزة الرصد إلى أن أشد وطأة العاصفة قد تستمر لاثنتي عشرة ساعة أخرى على الأقل، وربما أطول.

استولى جهين على قاعة اجتماعات صغيرة وحوّلها إلى مقر لتحقيقاته، مُحوِّلاً إياها إلى ما يشبه مكتب محقق ارتجالي. رتبت أدلة القضية بعناية فائقة على الطاولة القرص الصلب المحمل بأبحاث حوزير، وصور من مسرح الجريمة، وملاحظات من المقابلات، ومخطط مفصل للمنشأة مع وضع علامات على المواضع الحيوية.

وكان الأكثر بروزاً في غيابه تلك القوارير التي استخلصها الدكتور باشيان، والتي بقيت محروسة في وحدة تخزين محصنة، لا يمكن الوصول إليها إلا بتفويض من يزفير نفسه. لم يرض جهين عن هذا الترتيب، لكنه آثر التنازل مؤقتاً، مركزاً اهتمامه على تجميع الأدلة المتاحة بين يديه.

دخلت باشميرة إلى قاعة المؤتمرات حاملة جهازاً لوحياً، وأغلقت الباب خلفها بحذر. "كنت أمعن النظر في ملفات أبحاث حوزير الأخرى،" قالت بصوت خافت. "الأمر... مذهل! تتجاوز التداعيات كل ما كنت أتخيله".

"كيف ذلك؟" سأل جهين، رافعاً بصره عن المخطط الذي كان لايكف على دراسته.

"المركب إكس-42 لا يكتفي بإيقاف الشيخوخة فحسب بل يعكس مسارها!" شرحت باشميرة بصوت خفيض رغم إحكام الباب. "تظهر تجارب حوزير الأخيرة تجدداً

خلوياً في الأنسجة التالفة. ليس مجرد إبطاء للتدهور، بل إعادة إحياء ووظيفة للخلايا التي سبق وتدهورت حالتها".

"الخلود..." همس جهين.

"ليس تماماً،" صححت باشميرة. "بل امتداد هائل للعمر الصحي، ربما بعقود أو قرون. ويبدو أن تركيب المركب بسيط نسبياً متى عرفت صيغته".

"مما يجعل من المستحيل السيطرة عليه من خلال براءات الاختراع التقليدية أو العمليات الاحتكارية،" استنتج جهين. "وهذا يعني أن من يريد الاستحواذ عليه دون شريك، سيحتاج للسيطرة على المعرفة ذاتها، وليس مجرد الإنتاج".

"بالضبط،" وافقت باشميرة. "أدركت حوزير هذا تماماً، ولذا وزعت أبحاثها على أمناء متعددين. كانت تعلم أن البعض سيحاول طمسها للحفاظ على الهيمنة".

أومأ جهين برأسه مفكراً. "والمتغير المميت إكس-42-أوميغا حدثيني عنه بمزيد من التفصيل".

اكتسى وجه باشميرة بغيمة من الاضطراب. "إنه في جوهره ذات المركب، لكن بمركبات جزيئية معكوسة كصورة في المرآة للجزيء الأصلي. نفس المكونات، لكن باتجاه مختلف. هذا الشكل المعكوس لا يحافظ على الخلايا، بل يسرع انهيارها بشكل كارثي".

"أهو صعب التصنيع؟"

"لا، ليس على من لديه خلفية كيميائية حيوية. العملية مماثلة لتصنيع المركب الأصلي، لكن مع محفز معدل لإحداثه".

"إذن فقاتلنا يمتلك معرفة علمية متقدمة، ووصولاً إلى معدات المختبر، وإلماماً بأبحاث الدكتورة حوزير،" لخص جهين. "هذا يضيق دائرة المشتبه بهم بشكل كبير، وإن كان لا يزال يترك لنا عدة احتمالات".

نهض وتوجه إلى لوح أبيض صغير حيث خط عليه قائمة بالأسماء

يزفير بَهلير الرئيس التنفيذي، مول البحث، له وصول مباشر لجميع المناطق
الدكتور باشيان مهندس جيولوجي، خبرة علمية، وُجد مع العينات سُلجاز مدير
العمليات، وصول أمني، زار المختبر ليلة القتل الدكتورة لاميرا كيميائية حيوية،
زميلة قديمة، الآن ضحية ثانية روحيلة رئيسة قسم الاستدامة، وصول محدود
للجناح الشرقي باشميرة مساعدة أبحاث، الأقرب للبحث سلمير رئيس الأمن،
وصول شامل للمنشأة، يتحكم بالكاميرات روحبان صيانة، مكتشف الجثة، وصول
للأنظمة الأساسية

"يمكننا استبعاد الدكتورة لاميرا من دائرة المشتبه بهم،" لاحظ جهين. "إلا إذا كان
تسممها ذاتي الإحداث بغرض تحويل الشبهات، وهو أمر يبدو مستبعداً بالنظر إلى
خطورة حالتها".

"وماذا عني؟" سألت باشميرة بهدوء، ملاحظةً اسمها على القائمة.

أمعن جهين النظر إليها نظرة متأنية. "كونك مساعدة حوزير، كان لديك وصول
لأبحاثها يفوق أي شخص آخر. خبرتك تؤهلك لتصنيع إكس-42-أوميغا. وكان
بإمكانك الاستفادة مهنياً من الاستحواذ على الاكتشاف".

شحب وجه باشميرة. "تستهبل!! مستحيل أن أوذي حوزير! كانت معلمتي،
وصديقتي"!

"ربما،" اعترف جهين. "لكن المحقق الدقيق يدرس كل الاحتمالات، مهما كانت
مؤلمة أو غير مريحة." عاد إلى اللوح الأبيض. "دعينا نتمعن في الدافع بعمق أكبر.
من يستفيد أكثر من طمس هذا الاكتشاف؟"

"ستخسر شركات الأدوية مليارات إذا أصبحت الشيخوخة نفسها قابلة للعلاج،"
اقترحت باشميرة. "نموذج أعمالهم يعتمد على علاج الأمراض المزمنة التي
تصاحب التقدم في السن".

"بالفعل. وأي من مشتبه بهم لديه صلات بمصالح صيدلانية؟"

فكرت باشميرة للحظات. "عائلة يزفير تمتلك استثمارات في عدة شركات للتكنولوجيا الطبية. والدكتور باشيان عمل مستشاراً لشركة 'ميريديان' للأدوية قبل انضمامه لإزهار الصحراء." ترددت قليلاً. "وشقيق سُلجاز تنفيذي كبير في شركة الخليج للحلول الطبية".

"روابط مثيرة للاهتمام،" علق جهين، مضيفاً هذه المعلومات إلى ملاحظاته. "والآن، الفرصة أعطال كاميرات الأمن مؤشر ذو دلالة قوية. من يملك القدرة على ترتيب مثل هذه الإخفاقات في توقيتات ملائمة؟"

"رسمياً، سلمير يشرف على أنظمة الأمن بأكملها. لكن سُلجاز، بوصفه مدير العمليات، يملك أيضاً وصولاً إدارياً. ويزفير، بطبيعة الحال، يملك السلطة العليا".

"وماذا عن الوسائل؟" استمر جهين. "من بإمكانه تصنيع إكس-42-أوميغا؟"

"مع وجود أبحاث حوزير كدليل، بإمكان أي من العلماء نظرياً القيام بذلك،" اعترفت باشميرة. "الدكتورة لاميرا بالتأكيد. الدكتور باشيان، رغم تخصصه الجيولوجي، لديه خلفية كيميائية واسعة. أنا، من الناحية النظرية. حتى روحيلة لديها تدريب بيوكيميائي كجزء من عملها في مجال الاستدامة".

أومأ جهين، مدوناً ملاحظات إضافية. "والوصول إلى المختبرات؟"

"مختبر حوزير يتطلب تصريحاً خاصاً، لكن منشآت البحث العامة تحتوي على كل ما يلزم لتصنيع المركب، وجميع كبار الموظفين لديهم وصول إليها".

قاطع طرق خافت على الباب مجرى حديثهما. دخل سلمير، وعلى وجهه تعبير قاتم النبرات.

"سيد سُلهان، ثمة تطور مستجد. الدكتورة لاميرا استفاقت وتطلب التحدث إليك بإلحاح. وأيضاً... إحدى قوارير حقيبة الدكتور باشيان مفقودة".

انطلقت نظرة حادة من عيني جهين. "متى اكتُشف هذا؟"

"منذ لحظات. أمر السيد بَهلير بالتحقق من العينات قبل الشروع في التحليل. فُتحت الحقيبة في غرفة التخزين الآمنة، ووُجدت قارورة ناقصة – تلك التي يُعتقد أنها تحتوي على المركب إكس-42 الأصلي".

"من كان بمقدوره الوصول إلى غرفة التخزين؟"

"هذا هو الأمر المحير – سجلات الأمن لا تُظهر أي دخول غير مصرح به. فقط السيد بَهلير نفسه دخل الغرفة منذ تأمين العينات".

تبادل جهين نظرة ذات مغزى مع باشميرة. "سأحتاج للتحدث مع الدكتورة لاميرا على الفور. ثم مع السيد بَهلير وعليه أن يقدم بعض التوضيحات".

كانت العيادة الصغيرة تغرق في هدوء لا يقطعه سوى الصوت الخافت لأجهزة المراقبة. استلقت الدكتورة لاميرا في وضع شبه منتصب، شاحبة الوجه لكن عيناها تشعان يقظة. وقف الدكتور باشيان بالقرب منها، يرصد علاماتها الحيوية بعناية.

"خمس دقائق فقط،"همست إلى جهين بصوت خافت. "استقرت حالتها، لكن جسدها عانى أضراراً جسيمة".

اقترب جهين من السرير وباشميرة تتبعه. "دكتورة لاميرا، طلبت التحدث معي؟"

جاء صوت لاميرا واهناً لكن حازماً. "المركب في الشاي... تمكنت من تحديده. إنه إكس-42-أوميغا، كما توقعنا، لكن مع تعديل يؤخر مفعوله. صُمم ليمنح المسمم وقتاً كافياً لإنشاء حجة دفاعية".

"أمتأكدة أنت؟" استفسر جهين.

أومأت برأسها إيماءة خفيفة. "تعرفت على البصمة الجزيئية من ملاحظات حوزير. كانت قد نظّرت لهذا التعديل لكنها لم تصنعه قط. قام شخص ما بتكييف أبحاثها، وحوّلها إلى سلاح قاتل".

"هل لديك فكرة عمن يكون؟"

أغمضت الدكتورة لاميرا عينيها للحظة، كمن يستجمع قواها. "ليس بيقين قاطع. لكن ثمة أمر يجب أن تعرفه عن اكتشاف حوزير. لم يكن عرضياً بالكامل كما تشير ملاحظاتها الرسمية. كانت مبنية على أبحاث سرية تعود لسنوات مضت أبحاث عملنا عليها معاً في جنيف".

"أي نوع من الأبحاث؟" حثها جهين برفق.

"دراسات حول إطالة العمر، بتمويل من اتحاد خاص. أُوقفت عندما أثبتت النتائج الأولية خيبة أمل، لكن حوزير لم تتخل قط عن المفاهيم الأساسية. حملت ذلك الأساس معها إلى إزهار الصحراء، وأدمجته في عملها البيئي".

"هل علم أي شخص آخر هنا بتلك الأبحاث السابقة؟"

"لا أحد باستثناء..." ترددت الدكتورة لاميرا. "باشيان. كان الدكتور باشيان مستشاراً لمشروع جنيف لفترة وجيزة. هكذا استقطبه يزفير إلى إزهار الصحراء. كانوا يريدون خبرته الجيولوجية، نعم، لكن أيضاً إلمامه بالإطار المفاهيمي الذي كانت حوزير تبني عليه".

غيّرت هذه المعلومة الجديدة خريطة العلاقات والدوافع في ذهن جهين. "إذن كان الدكتور باشيان سيدرك أهمية اكتشافها فور حدوثه".

"نعم،" أكدت الدكتورة لاميرا. "وكان سيفهم قيمته أفضل من أي شخص تقريباً . اتحاد جنيف... لم يكن مجرد تمويل خاص عادي. كان مدعوماً من بعض أثرى أثرياء العالم. أشخاص على استعداد لدفع أي ثمن مقابل حياة ممتدة".

تقدم الدكتور باشيان، متفحصاً الشاشات. "معدل ضربات قلبها يتسارع. تحتاجين للراحة الآن".

"سؤال أخير فقط،" سأل جهين. "دكتورة لاميرا، هل تعتقدين أن الدكتور باشيان قتل حوزير؟"

عيناها، اللتان بدأتا تغمضان، استعادتا تركيزهما بجهد ملحوظ. "لا أدري. لكن القوارير التي استرجعها لا ينبغي أن توجد أصلاً. احتفظت حوزير فقط بسجلات رقمية لتركيباتها ودمرت جميع العينات المادية بعد الاختبار النهائي، قلقة على سلامة الأمن. مهما كان ما أحضره باشيان من المختبر فهو ليس من عمل حوزير".

وبهذا البيان المقلق، غابت عن الوعي مجدداً، تاركة جهين محاطاً بأسئلة جديدة ويقين متزايد بأنه يقترب من كشف الحقيقة.

خارج العيادة، التفت جهين إلى باشميرة. "نحتاج لفحص القوارير المتبقية فوراً. وتحديد مكان السيد بَهلير".

"أتعتقد أن الدكتور باشيان صنع تلك العينات بنفسه؟" تساءلت باشميرة، وعلى وجهها علامات الاستغراب. "لكن لماذا؟ وما علاقة ذلك بالقارورة المفقودة؟"

"لدي نظرية،" أجاب جهين. "لكننا نحتاج لمزيد من الأدلة قبل مواجهة أي شخص بشكل مباشر. العاصفة حصرت قاتلنا معنا، لكنها جعلته أيضاً أكثر خطورة. مع انعدام إمكانية الفرار، قد يلجأ إلى تدابير يائسة".

وجدا يزفير في محطة البحث المجاورة لغرفة التخزين الآمنة، منخرطاً في نقاش محتدم مع الدكتور باشيان. صمت الرجلان حال دخول جهين وباشميرة.

"سيد سُلهان،" أقر يزفير بتوتر. "كنت على وشك إرسال من يستدعيك. لدينا خرق أمني خطير".

"القارورة المفقودة،" أكد جهين. "أبلغني السيد سلمير. ومع ذلك، تحدثت للتو مع الدكتورة لاميرا، التي شاركتني معلومات مثيرة للاهتمام عن أبحاث الدكتورة حوزير وعن صلة الدكتور باشيان بها".

ظل تعبير الدكتور باشيان محايداً، لكن لاحظ جهين تضييقاً طفيفاً حول عينيه.

"ماذا تُلمح بالضبط؟" سأل الجيولوجي ببرود.

"جنيف،" قال جهين ببساطة. "اتحاد خاص يتقصى علاجات إطالة العمر. أنت والدكتورة حوزير والدكتورة لاميرا، جميعكم مرتبطون من خلال عمل يسبق تأسيس إزهار الصحراء. عمل شكّل الأساس لمركب إكس-42".

نظر يزفير بحدة إلى باشيان. "لم تكشف قط عن هذه الصلة السابقة".

"كانت غير ذات اهمية،" رد باشيان بجمود. "أُنهي ذلك المشروع منذ سنوات دون نتائج ذات قيمة. كان دوري استشارياً فحسب، يركز على المركبات المعدنية التي قد تدعم تجدد الخلايا".

"ومع ذلك، حين حققت الدكتورة حوزير اختراقها هنا، كنت ستدرك أهميته فوراً،" واصل جهين الضغط. "كنت ستفهم ليس فقط أهميته العلمية، بل قيمته المالية الهائلة لأعضاء الاتحاد السابقين".

"هذا محض تخمين،" رفض باشيان بازدراء، رغم أن علامات عدم الارتياح بدت أكثر وضوحاً عليه.

"ربما،" تنازل جهين. "لكنه يؤسس لصلة ودافع لم يكونا ظاهرين من قبل. والآن، بخصوص هذه القوارير التي أنقذتها ببطولة خلال العاصفة تدّعي الدكتورة لاميرا أنها لا ينبغي أن توجد أصلاً. وأن الدكتورة حوزير دمرت جميع العينات المادية بعد إتمام أبحاثها".

تصلب وجه باشيان. "لاميرا مخطئة. أو ربما مشوشة بسبب حالتها. احتفظت حوزير بهذه العينات في حاوية آمنة داخل منطقة تخزينها الثانوية. علمتُ بوجودها لأنها استشارتني حول طرق التثبيت للحفظ طويل المدى".

"تفسير ملائم للغاية،" قال جهين. "يصعب التحقق منه الآن بعد تضرر الجناح الشرقي بفعل العاصفة. أخبرني، دكتور باشيان، ماذا كان بالضبط في القارورة المفقودة الآن؟"

"استناداً إلى نظام ترميز حوزير، احتوت على الصيغة الأساسية لإكس-42،" أجاب باشيان. "العينة الأثمن قيمة، بوضوح، وهذا سبب استهدافها".

"من قِبل من؟" سأل جهين. "سجلات الأمن تظهر أن السيد بَهلير وحده دخل غرفة التخزين".

اتجهت الأنظار جميعها إلى يزفير، الذي بدا مستاءً بصدق. "فتحت غرفة التخزين مرة واحدة، بحضور رجال الأمن، للتحقق من سلامة العينات. ظلت الحقيبة مغلقة خلال ذلك الفحص. لم ألمس القوارير نفسها أبداً".

"ثمة من يكذب،" قال جهين بهدوء. "وأعتقد أن القوارير المتبقية قد تكشف لنا هوية الكاذب. أرغب في تحليلها فوراً، بحضور الآنسة باشميرة وبحضوري طوال العملية".

"هذا غير ضروري،" اعترض الدكتور باشيان. "أنا أملك كامل القدرة على"

"المسألة ليست مسألة قدرة، دكتور باشيان،" قاطعه جهين. "إنها مسألة ثقة. شخص ماتا والاخر يحتضر بسبب هذا المركب. لن أسمح بفرصة أخرى لاختفاء الأدلة بطريقة مريبة".

بعد لحظة من التوتر المتصاعد، أومأ يزفير. "موافق. سنجري التحليل تحت الإشراف المباشر. وسيظل الأمن حاضراً أيضاً".

كانت عملية التحليل شاقة ومشحونة بالتوتر. عمل الدكتور باشيان بحركات دقيقة متقنة، تشهد خبرته الواسعة رغم ضغط المراقبة. ساعدت باشميرة مع المعدات المتخصصة، متيحاً لها تدريبها العلمي متابعة الإجراءات بعين ناقدة.

راقب جهين كل ذرة تفصيل، من الاختبارات المحددة التي أُجريت إلى البيانات المسجلة، باحثاً عن أي محاولة للخداع أو التلاعب. لم يظهر شيء فاضح، لكن شكوكه استمرت بالتبلور مع ظهور النتائج تباعاً.

بعد أربع ساعات، والعاصفة لا تزال فوقهم، اكتمل التحليل الأولي اعتدل الدكتور باشيان عن المعدات، ووجهه لا يبوح بأي انفعال.

"النتائج قاطعة،" أعلن. "تحتوي هذه العينات على متغيرات من المركب إكس-42، لكن ليست الصيغة الأساسية. تبدو أنها تجارب تطويرية".

"إذن القارورة المفقودة..." بدأ يزفير.

"كانت تحتوي على العينة الوحيدة من المركب النهائي،" أكد باشيان. "خسارة لا تعوض".

"إلا إذا،" اقترح جهين بهدوء، "كانت هذه العينات ليست ما تدّعيه. إلا إذا انك انت صنعتها بنفسك، حديثاً، لدعم رواية حبكتها انت من نسج الخيال".

علق الاتهام في الهواء كسيف عليه. ظل وجه الدكتور باشيان متماسكاً، لكن عروق يديه انتفخت وابيضت وهو يقبض على حافة طاولة المختبر.

"هذا سخيف،" رد أخيراً. "لِمَ قد أفتعل دليلاً كاذباً؟"

"لتنصّب نفسك وصياً جديداً على أبحاث الدكتورة حوزير،" اقترح جهين. "مع موتها وعجز الدكتورة لاميرا، من أفضل لمواصلة هذا العمل الثوري في هذا العالم والوحيد الملم بأساساته من جنيف؟ خاصة إذا ساد الاعتقاد بأن بيانات البحث الأصلية فُقدت أو دُمرت".

"ليس لديك دليل على مثل هذه المؤامرة المعقدة،" دافع باشيان، لكن صوته افتقر إلى الإقناع الحقيقي.

"في الواقع، لدينا القرص الصلب،" تدخلت باشميرة. "أبحاث حوزير الكاملة، بما في ذلك ملاحظاتها حول تدمير جميع العينات المادية".

"ولدينا شهادة الدكتورة لاميرا،" أضاف جهين. "لكن الأكثر إدانة من كل ذلك، لدينا التسلسل الزمني الرئيسي. ماتت الدكتورة حوزير قبل أن تتمكن من عرض اكتشافها

بلحظات. ثم بدأت أنت في التحريض في الثقة بعملها بشكل خفي، مدعياً سوء تخصيص للموارد. وعندما بدأ التحقيق بالتركيز على المركب نفسه، ظهرت عينة بشكل غامض لتختفي مرة أخرى عندما أصبح من الممكن تحليلها بدقة".

أخيراً انهار تماسك الدكتور باشيان. "أنت لا تفقه تداعيات هذه التكنولوجيا. كانت حوزير ساذجة، حالمة. أرادت التخلي عنها، التنازل عن السيطرة على اكتشاف قادر على إعادة تشكيل الحضارة البشرية. بعض الاكتشافات أقوى من أن تُطلق دون تحكم دقيق"!

"تحكم من قِبل من؟" ضغط جهين. "اتحاد جنيف؟ أولئك الأثرياء بما يكفي لشراء الحياة الممتدة بينما يشيخ الآخرون ويموتون وفق الطبيعة؟"

"تنظيم،" أصرّ باشيان. "إطار عمل لا يزعزع أنظمة العالم. لا يمكنك ببساطة إعلان الخلود للبشرية وتوقع استمرار المجتمع في العمل كالمعتاد"!

"إذن قتلتها للاستحواذ على الأبحاث،" استنتج جهين. "صنعت إكس-42-أوميغا وأعطيتها لها، عالماً أنه لن يترك آثاراً تقليدية يمكن كشفها".

"لا تستطيع إثبات ذلك،" قال باشيان، لكنه لم يكن نفياً صريحاً.

"والقارورة المفقودة،" واصل جهين. "أخذتها بنفسك، أليس كذلك؟ صنعت لغزاً لتحويل الانتباه بينما تؤمن العينة 'الأصلية' الوحيدة لنفسك أو لمن تعمل حقاً لصالحهم. من هم، دكتور باشيان؟ لأي من أعضاء ذلك الاتحاد تقدم ولاءك الحقيقي؟"

تحول تعبير باشيان إلى شيء بارد وحاسم. "تبني نظريات معقدة دون دليل، سيد سُلهان. وحتى لو كان ما تقترحه صحيحاً وهو ما أنفيه تماماً فما أهمية ذلك الآن؟ الجناح الشرقي متضرر. مختبر حوزير في حالة خراب. فُقدت مواد بحثية حيوية. لقد محت العاصفة فعلياً أي دليل قد يدعم اتهاماتك".

قبل أن يتمكن جهين من الرد، صدح نظام اتصالات الملجأ بصوت سلمير: "السيد بَهلير، يبلغ عن حالة طارئة في العيادة. حالة الدكتورة لاميرا تدهورت فجأة".

بدا يزفير منزعجاً. "سنواصل هذا النقاش لاحقاً،" قال لجهين بحزم. "في الوقت الحالي، سيبقى الدكتور باشيان تحت مراقبة الأمن بينما نتعامل مع أزمة الدكتورة لاميرا".

أثناء اندفاعهم نحو العيادة، كان عقل جهين يعمل بسرعة محمومة. كانت القطع تتساقط في مواضعها الصحيحة، لكن ثمة شيء ما لا يزال يبدو غير متسق. إذا كان باشيان قد قتل حوزير وحاول قتل لاميرا، فلماذا تتدهور حالتها فجأة الآن، بينما هو تحت المراقبة المشددة؟

ما لم يكن هناك بُعد آخر لهذه المؤامرة أو قاتل آخر تماماً.

وجدوا العيادة في حالة من الفوضى المنضبطة عند وصولهم. كان الدكتور ينتقل بسرعة حول سرير الدكتورة لاميرا، يعطي الأدوية ويضبط المعدات. أظهرت الشاشات علامات حيوية مضطربة، تشبه بشكل مقلق الأنماط المسجلة قبل وفاة حوزير مباشرة.

"ماذا حدث؟" استفسر يزفير بلهفة.

"انهيار فسيولوجي مفاجئ،" أفاد الدكتور بتوتر. "كأن السم قد أعيد تنشيطه أو تسارع مفعوله. لم أشهد مثل هذا من قبل".

ضيق جهين عينيه وهو يمسح المشهد بنظرة فاحصة. "متى بدأ هذا؟"

"قبل حوالي خمس عشرة دقيقة. كانت حالتها مستقرة، ثم تدهورت فجأة".

"من كان في العيادة منذ زيارتي الأخيرة؟"

بالكاد رفع الدكتور بصره عن عمله. "لا أحد سوى الطاقم الطبي وزيارة قصيرة من السيد سُلجاز لتوصيل إمدادات إضافية من الجناح الطبي الرئيسي".

تبادل جهين وباشميرة نظرة حادة عند سماع هذه المعلومة.

"سُلجاز ،" همس جهين. "مدير العمليات الذي تجادل مع الدكتورة حوزير قبل أيام من وفاتها. الرجل الذي يعمل شقيقه لدى شركة الخليج للحلول الطبية. أين هو الآن؟"

"أعتقد أنه عاد إلى مركز الاتصالات،" أجاب الدكتور بانشغال. "شيء ما حول استعادة الاتصال بالعالم الخارجي".

"يزفير،" قال جهين بإلحاح، "علينا إيجاده فوراً. والتحقق مما إذا كان لديه أي وصول إلى منطقة التخزين الآمنة بشكل مباشر أو غير مباشر".

تحول تعبير يزفير من الارتباك إلى فهم متزايد. "تظن أنه متورط؟ لكن باشيان"

"قد يكون متورطاً أيضاً، نعم،" أكد جهين. "متآمران يعملان معاً في البداية، ثم ربما بأهداف متضاربة مع تقدم التحقيق. هذا يفسر الأدلة المتناقضة، والتوقيت المريب للأحداث".

"مركز الاتصالات في هذا الاتجاه،" قرر يزفير، قائداً إياهم عبر الممر.

بينما كانوا يسرعون خلال الملجأ، همست باشميرة لجهين بلهفة. "إذا كان سُلجاز والدكتور باشيان يعملان معاً، أيمكن أنهما يمثلان اتحاد جنيف؟"

"ممكن،" اعترف جهين. "أو قد يخدمان مصالح متنافسة تسعى للسيطرة على التكنولوجيا. على أي حال، إذا كان الزهراني قد سرّع تدهور حالة الدكتورة لاميرا، فقد يكون يُعد لخطوة أخيرة ربما تدمير الأدلة أو تأمين القارورة المفقودة للتهريب فور انتهاء العاصفة".

وجدوا مركز الاتصالات خالياً عند وصولهم، المعدات تعمل لكن دون وجود أي شخص. توجه يزفير مباشرة إلى وحدة تحكم الأمن، مستدعياً نظام التتبع الداخلي للملجأ.

"تُظهر إشارة تعقب سُلجاز أنه في... المستوى السفلي الثالث،" أفاد يزفير، وعلى وجهه تعبير حائر. "لكن هناك مجرد أنظمة مرافق وأنفاق خروج طوارئ. ليس هناك ما يستدعي وجوده هناك".

"مخارج طوارئ،" كرر جهين، وفكرة جديدة تتبلور في ذهنه. "حتى مع العاصفة، أيمكن لشخص مغادرة المنشأة عبر هذه الأنفاق؟"

"ليس بأمان،" أجاب يزفير. "تؤدي إلى السطح على بعد كيلومتر تقريباً من المنشأة الرئيسية، وتنتهي بملجأ معزز مصمم للإخلاء أثناء الانهيار الهيكلي. لكن خلال عاصفة من الفئة الخامسة؟ ستكون محاولة انتحارية".

"إلا إذا كان شخص ما يائساً بما يكفي،" رد جهين. "شخص يعتقد أنه أمّن تكنولوجيا تقدر بمليارات الدولارات ويحتاج للفرار قبل انكشاف جرائمه".

"القارورة المفقودة،" تمتمت باشميرة بلهفة. "إذا كانت معه"

"علينا الوصول إلى المستوى السفلي الثالث على الفور،" قرر جهين. "وإبلاغ الأمن لتشديد الحراسة على الدكتور باشيان. أشك أن متآمرينا يعملان الآن بشكل مستقل، يحاول كل منهما الاستحواذ على اكتشاف حوزير لنفسه أو لمن يدعمونه".

استمرت العاصفة تعصف بالمنشأة فوقهم، لكن تحت رمال الصحراء، كانت دراما إنسانية تصل إلى ذروتها دراما من الجشع، والطموح، واكتشاف قادر على تغيير مستقبل البشرية. وبينما شق جهين طريقه نحو المستوى السفلي، أدرك أن المواجهة القادمة ستكشف الحقيقة النهائية المدفونة تحت رمال الخداع المتحركة.

الفصل العاشر: حُكم الصحراء

عجَّ المستوى الثالث السفلي بأصوات الآلات أنظمة تنقية المياه، ومعالجات الهواء، والمولدات الاحتياطية تلك البنية التحتية الخفية التي جعلت الحياة ممكنة في حضن الصحراء القاسي. ألقى الضوء الطارئ بظلال طويلة عبر الممرات النفعية المصممة للوظيفة وليس للراحة.

تحرك جهين بحذر، وخلفه يزفير وباشميرة، متتبعين إشارة منارة سُلجاز. كان سلمير قد نشر أفراد الأمن لتغطية نقاط الوصول الرئيسة، لكن جهين أصرَّ على قيادة المطاردة المباشرة، إذ أخبرته غريزته كمحقق أن هذه المواجهة ستتطلب معالجة دقيقة.

"الإشارة تأتي من القسم الشمالي الغربي،" أبلغ يزفير بهدوء، مستشيراً جهاز التعقب اللوحي. "بالقرب من مدخل نفق الإخلاء الطارئ".

"إذاً هو يحاول المغادرة،" استنتج جهين. "رغم العاصفة".

"إنها حماقة،" أصرَّ يزفير. "النفق يؤدي إلى ملجأ محصن، نعم، لكن من هناك إلى السطح؟ في عاصفة رملية من الفئة الخامسة؟ سيكون ميتاً خلال دقائق".

"ما لم يكن قد رتب استخراجاً،" اقترح جهين. "مركبة مجهزة خصيصاً، ربما، أو حتى طائرة معدلة مصممة للعمل في الظروف القصوى. بالنسبة لتقنية يمكن أن تمد حياة الإنسان إلى ما لا نهاية، تعتبر مثل هذه الموارد تافهة".

وصلوا إلى تقاطع انقسم فيه الممر إلى ثلاثة اتجاهات. تحقق يزفير من الجهاز اللوحي مرة أخرى.

"من هنا،" أشار إلى الممر الأيسر. "مدخل النفق على بعد خمسين متراً تقريباً".

مع اقترابهم، استطاعوا سماع صوت شخص ما يحرك معدات، فتردد صوت معدني عبر الممر. أشار جهين طالباً الصمت، ثم أطل بحذر حول المنعطف الأخير.

وقف سُلجاز أمام باب فولاذي ثقيل عليه علامة "مسار إخلاء طارئ - الموظفون المصرح لهم فقط". كان يرتدي معدات النجاة الصحراوية بدلة بيئية معززة مع جهاز تنفس مرفق وكان يُدخِل رمزاً في لوحة الأمان بجانب الباب. كانت هناك حقيبة صغيرة مثبتة بحزامه، حجمها وشكلها يوحيان بأنها قد تحتوي على القارورة المفقودة.

"كفى سُلجاز ،" نادى جهين، ظاهراً للعيان.

استدار سُلجاز، وتغير تعبيره. لم يحاول الفرار أو إنكار استعداداته الواضحة.

"السيد سُلهان،" اعترف ببرود. "سُمعتك في المثابرة مثيرة للاهتمام، على ما يبدو".

"كما هي سُمعتك في الطموح،" رد جهين، متقدماً ببطء. "رغم أنني لم أكن لأضيف القتل إلى سيرتك الذاتية حتى وقت قريب".

"توصيف مبسط،" رد سُلجاز. "كان موت حوزير مؤسفاً لكنه ضروري. التقنية التي اكتشفتها لا يمكن السماح بتداولها دون ضوابط. الاضطراب العالمي سيكون بلا حدود".

"نفس التبرير الذي قدمه الدكتور باشيان،" لاحظ جهين. "شريكك المتآمر في هذه القضية".

ومض تعبير مفاجأة حقيقية على وجه سُلجاز. "باشيان؟ لسنا شركاء، سيد سُلهان. نحن متنافسون. هو يمثل مصالح اتحاد جنيف. أنا أمثل منظوراً مختلفاً تماماً".

"شركة الخليج للحلول الطبية،" خمّن جهين. "شركة أخيك. أو ربما كبار مساهميها؟"

"شركة الخليج مجرد عقدة في شبكة أكبر بكثير،" قال سُلجاز باستخفاف. "مصالح دولية تفهم الحاجة للاستقرار خلال التحولات التكنولوجية. اكتشاف حوزير كان

سيزعزع الهياكل الاقتصادية والاجتماعية العالمية بين ليلة وضحاها. مثاليتها الساذجة كانت خطيرة".

"إذاً قتلتها،" قالت باشميرة، وصوتها مشدود بالغضب. "سممت معلمتي، صديقتي، لأن 'مثاليتها' هددت أرباح مستخدميك".

"لقد أزلت تهديداً للاستقرار العالمي،" صحح سُلجاز. "وأمّنت تقنية سيتم نشرها الآن بمسؤولية، تدريجياً، تحت إشراف مناسب".

"بعد أن تأخذ نصيبك، بالطبع،" قال جهين. "عمولة من تسليم مادة الخلود لمستخدميك".

لم ينكر سُلجاز ذلك. "تعويض يتناسب مع المخاطرة أمر معقول".

"والدكتورة لاميرا؟" طالب يزفير. "هل كان تسميمها أيضاً 'ضرورياً'؟"

"لقد تعرفت على بنية المركب،" شرح سُلجاز دون ندم. "كانت قد عملت على البحث التمهيدي في جنيف. بمجرد أن بدأت بتحليل العينة التي 'اكتشفها' باشيان بتوقيت ملائم، كان مسألة وقت فقط قبل أن تربطها بي".

"لأنك ركبت كلا النسختين،" استنتج جهين. "إكس-42 ونظيره القاتل، إكس-42-أوميغا. استخدمت أبحاث حوزير نفسها ضدها".

"كانت ملاحظاتها شاملة،" اعترف سُلجاز. "وخلفيتي في الكيمياء الحيوية جعلت التركيب بسيطاً. النسخة ذات المفعول المؤجل التي استخدمتها مع الدكتورة لاميرا كانت ابتكاري الخاص. فعالة جداً، رغم أن الجرعة الثانية التي أعطيتها لها اليوم يجب أن تضمن ألا تتعافى لتشهد ضدي".

اعترافه العارض بمحاولة القتل متحدثاً كما لو كان يناقش إنجازاً تقنياً بسيطاً بعث قشعريرة عبر الممر.

"لن تهرب،" قال يزفير بحزم. "حتى لو نجحت في عبور النفق، فالعاصفة ستقتلك قبل أن يتمكن أي فريق من الوصول إليك".

ابتسم سُلجاز ابتسامة رقيقة. "فهمك للتكنولوجيا المتاحة محدود بمنظورك التجاري، سيد بَهلير. شركائي لديهم موارد تتجاوز القيود التقليدية".

وكأنه إشارة، رن الجهاز اللوحي في يد يزفير بتنبيه. نظر للأسفل، وتغير تعبيره إلى الفزع.

"تم رصد طائرة تقترب من المنشأة،" أبلغ بذهول. "رغم العاصفة. إنها تستخدم المنارة الطارئة من ملجأ الإخلاء كإشارة توجيه".

"في الموعد المحدد تماماً،" علّق سُلجاز بارتياح. "الآن، أقترح أن تتنحوا جانباً. ليس لدي رغبة في إضافة قتلى لا داعي لهم".

"لقد قتلت حوزير وسممت لاميرا،" قالت باشميرة، وصوتها يرتعش. "لا يمكن أن تظن أننا سندعك تمشي ببساطة حاملاً عمل حياتهما".

"العاطفة رفاهية، آنسة باشميرة،" رد سُلجاز ببرود. "رفاهية ليس لها مكان في أمور بهذا الحجم. سيتم تطوير المركب ونشره بغض النظر عما يحدث هنا اليوم. السؤال الوحيد هو ما إذا كنتم ستنضمون إلى قائمة الضحايا المؤسفة".

بينما كان يتحدث، تحركت يده بخفة نحو جيب في بدلته البيئية. لاحظ جهين الحركة وتوتر للتدخل.

"القارورة المفقودة،" قال بسرعة، مشتتاً الانتباه. "أخذتها من المخزن الآمن. متى؟"

توقفت يد سُلجاز. "تلاعب بسيط. لقد ضمنت ببساطة استدعاء يزفير لفترة وجيزة خلال التفتيش، مما أتاح لي الوصول إلى الحقيبة. غرور باشيان في 'إنقاذ' تلك العينات تناسب مع استراتيجيتي تماماً. سعى لتنصيب نفسه وصياً جديداً على عمل حوزير، دون أن يشك أبداً بأنني كنت قد أمنت بالفعل المكون الأكثر قيمة".

"لكن سجلات الأمن لم تظهر أي وصول غير مصرح به،" اعترض يزفير.

"لأنني استخدمت اعتماداتك،" شرح سُلجاز بلمحة من الغطرسة. "مسألة بسيطة تتمثل في استنساخ بطاقة الأمن الخاصة بك بينما كنت مركزاً على استعدادات العاصفة. التكنولوجيا آمنة بقدر البشر الذين ينفذونها فقط".

بينما كان سُلجاز يتحدث، كان جهين يغير موقعه ببطء، بشكل لا يكاد يُلاحظ، ساعياً إلى مسار واضح للتدخل. استطاع أن يشعر بتوتر مدير العمليات المتزايد، والحساب خلف عينيه وهو يقيّم خياراته.

"ودور الدكتور باشيان في كل هذا؟" ضغط جهين، مُبقياً سُلجاز منشغلاً. "هل كان يعمل بشكل مستقل، أم نسقتما في البداية؟"

"كان باشيان يتابع أجندته الخاصة،" قال سُلجاز باستخفاف. "كنا على دراية بمصالح بعضنا البعض، بالطبع، لكننا عملنا بشكل منفصل. كان نهجه أكاديمياً جداً، حذراً جداً. الاتحاد الذي يمثله يفتقر للرؤية. هم يرون فقط تمديد الحياة الشخصية، وليس التطبيقات الأوسع".

"تطبيقات مثل؟" سأل جهين.

اصبح تعبير سُلجاز اكثر حدة لمتعصب. "النشر الانتقائي. التحكم بالوصول. آلية للحوكمة العالمية تستند إلى الجدارة والمساهمة بدلاً من الديمقراطية العشوائية. أولئك الذين يطورون الحضارة البشرية يستحقون تمديد حياتهم لتوجيهها".

"تحسين النسل،" قالت باشميرة، مرتعبة. "أنت تتحدث عن تحسين النسل التكنولوجي".

"أتحدث عن الواقع،" ردّ سُلجاز. "الموارد محدودة. ليس بإمكان الجميع العيش إلى الأبد. يجب اتخاذ خيارات، وتأسيس أنظمة. رفضت حوزير قبول هذه الحقيقة الأساسية. وهمها المساواة كان سيؤدي إلى الفوضى".

أصدر باب الإخلاء خلف سُلجاز سلسلة من النقرات الميكانيكية مع بدء أنظمته الآلية تسلسل الفتح، استجابةً لإشارة عن بُعد. تحركت يد سُلجاز مرة أخرى، هذه المرة بشكل أكثر حسماً، نحو جيبه.

"انتهى النقاش،" أعلن. "لقد نشّط الفريق أنظمة النفق. سأغادر الآن. تعاونكم سيظل محل تقدير، لكنه لم يعد مطلوباً".

بحركة سريعة واحدة، أخرج ما بدا أنه جهاز رذاذ صغير من جيبه. اندفع جهين للأمام فوراً، مدركاً التهديد على الأرجح آلية توصيل أخرى لمركب إكس-42-أوميغا.

استجاب سُلجاز بسرعة مدهشة، متفادياً الهجمة الأولى لجهين وأطلق دفقة من الرذاذ الدقيق نحو يزفير وباشميرة. تفاعلت باشميرة على الفور، ساحبة يزفير للخلف حول تقاطع الممر بينما غطت فمها وأنفها.

جهين، ملتزماً بتدخله، اصطدم بسُلجاز، مُطيحاً بجهاز الرذاذ من يده. تصارعا لفترة وجيزة، حيث وفرت البدلة البيئية لسُلجاز بعض الحماية وهو يحاول التحرر.

"أنت لا تفهم ما الذي تتدخل فيه،" همس سُلجاز وهما يتصارعان. "هذا ليس مستقبل الحضارة البشرية"!

"مستقبل مبني على القتل ليس مستقبلاً على الإطلاق،" رد جهين، محافظاً على قبضته رغم جهود سُلجاز.

أكمل باب الإخلاء فتحه، مفتوحاً تلقائياً ليكشف عن نفق طويل معزز يمتد في الظلام. اندفعت نفحة من الهواء خلفهما ليست الريح الحارة المحملة بالرمال من العاصفة، بل تدفق مضغوط من أنظمة المنشأة البيئية، خالقاً حاجزاً واقياً ضد التلوث الخارجي.

سُلجاز، رؤيته لطريق الهروب مفتوحاً، ضاعف جهوده. بالتواءة عنيفة، تحرر من قبضة جهين واندفع نحو مدخل النفق. تحرك جهين لمطاردته، لكن سُلجاز كان قد

فكّ جهازاً ثانياً من حزامه شيء أسطواني صغير نشّطه على الفور وألقاه في الممر خلفه.

"قنبلة!" صاح جهين، غاطساً للاحتماء بينما بدأ دخان أبيض ينبعث من الجهاز، ملئاً الممر سريعاً بضباب كيميائي معتم. لم تكن انفجاراً إذاً، بل قنبلة دخانية لتغطية هروب سُلجاز.

عبر الدخان المتكاثف، استطاع جهين رؤية سُلجاز يختفي في النفق، والحقيبة المحتوية على القارورة الثمينة لا تزال مثبتة بحزامه. بدأ باب الإخلاء الإغلاق التلقائي، حيث استجابت أنظمة أمان المنشأة لكشف الدخان.

باتخاذ قرار في جزء من الثانية، أطلق جهين نفسه للأمام، متدحرجاً تحت الباب النازل قبل أن يُغلق بصوت طنين هوائي. خلفه، انقطع الممر المليء بالدخان ورفاقه. أمامه، امتد نفق الإخلاء المضاء بخفوت، مع سُلجاز الذي كان يجري بالفعل نحو المخرج البعيد.

كان جدران النفق خرسانية معززة، شرائط إضاءة طارئة على طول الأرضية، أنظمة تهوية تحافظ على هواء قابل للتنفس. مصمم للإخلاء خلال فشل كارثي في المنشأة، لم يقدم أماكن للاختباء، ولا تحويلات، مجرد مسار مستقيم إلى ملجأ السطح على بعد كيلومتر تقريباً.

ركض جهين بثبات، موفراً طاقته مع الحفاظ على المطاردة. على عكس سُلجاز، لم يكن يرتدي حماية بيئية، مما جعل المواجهة القادمة عند نهاية النفق انتحارية محتملة إذا تطلب الأمر التعرض للعاصفة الرملية الهائجة. لكنه لم يستطع السماح لقاتل حوزير بالهرب بالتقنية التي كلفتها حياتها.

في الأمام، وصل سُلجاز إلى باب معزز ثانٍ مدخل ملجأ السطح. أدخل رمزاً بسرعة في لوحة التحكم الخاصة به، ناظراً للخلف ليتأكد أن جهين لا يزال يطارده.

"أنت ترتكب خطأً، سُلهان!" ناداه، وصوته يتردد صداه في المساحة المحصورة. "سيتم تطوير هذا المركب بغض النظر. أنت تضحي بنفسك من أجل لا شيء"!

"العدالة ،" رد جهين، مواصلاً تقدمه.

فُتح باب الملجأ، واختفى سُلجاز عبره. جهين، واصلاً إلى الباب بعد لحظات، وجد أنه لم يغلق بالكامل ربما عُلّق عمداً للسماح لفريق بالوصول. فتحه بحذر، مقيّماً الموقف قبل المضي قدماً.

كان الملجأ قبة خرسانية معززة، قطرها حوالي عشرين متراً، مع رفوف معدات وإمدادات طارئة وأنظمة اتصالات مدمجة في جدرانها. في وسطها، كان هناك ممر عمودي يؤدي إلى السطح، مغلقاً حالياً بباب ثقيل آخر في السقف. وقف سُلجاز تحت هذا المخرج، يشغل لوحة تحكم يفترض أنها ستفتحه للسماح باستخراجه.

"انتهى الأمر، سُلجاز" أعلن جهين، داخلاً الملجأ بالكامل. "حتى لو كان لشركائك تكنولوجيا قادرة على العمل في هذه العاصفة، فقد رصدت المنشأة بلا شك اقترابهم. تم تنشيط بروتوكولات الأمن".

"بروتوكولات الأمن مصممة للتهديدات التقليدية،" رد سُلجاز دون أن يرفع نظره عن لوحة التحكم. "قدرات شركائي تتجاوز القيود التقليدية بكثير".

وكأنه لتأكيد نقطته، أصبح صوت نقر عميق إيقاعي مسموعاً فوقهما صوت مروحية تعمل بطريقة ما رغم الرياح الكارثية للعاصفة الرملية. بدأت فتحة سقف الملجأ بالفتح، وعملت هيدروليكيات قوية على دفع اللوحات المعززة للانفصال.

"آخر فرصة، سُلهان،" نادى سُلجاز عبر الضجيج المتزايد. "تنحّ جانباً وعِش. هذه التكنولوجيا ستعيد تشكيل البشرية سواء تدخلت أم لا".

"هذا بالضبط سبب عدم إمكانية السيطرة عليها من قبل أشخاص مثلك،" رد جهين، متقدماً بثبات. "أشخاص يقتلون من أجل الربح والسلطة".

أكملت فتحة السقف فتحها، كاشفة ليس عن الغضب المتوقع للعاصفة الرملية، بل عن الجانب السفلي لطائرة لا تشبه أي شيء رآه جهين من قبل. كانت تحوم في وسط العاصفة، محافظة بطريقة ما على موقعها رغم الرياح العنيفة، وبدا هيكلها

غير متأثر بجزيئات الرمال الكاشطة التي كان يجب أن تلحق الضرر بأي طائرة تقليدية.

سقط كابل نزول من الطائرة، متدلياً بسرعة إلى داخل الملجأ. أمسك به سُلجاز بيد واحدة، مثبتاً الحزام حول بدلته البيئية بكفاءة مدربة.

"ستسود رؤية حوزير،" نادى جهين، لا يزال يتقدم. "أبحاثها موجودة في مواقع آمنة متعددة، معدة للنشر تلقائياً. سرقتك في النهاية لا معنى لها".

لأول مرة، ومض شك على وجه سُلجاز. "أنت تخادع. القرص الصلب الذي كان مع لاميرا كان نسختها الاحتياطية الوحيدة".

"واحدة من أربعة،" ردّ جهين. "كانت الدكتورة حوزير دقيقة في تخطيطها الطارئ. حتى الآن، العد التنازلي للكشف العلني مستمر. في أقل من أسبوع، سيعرف العالم كل شيء المركب، وتطويره، وجرائم القتل المرتكبة لقمعه".

كان تردد سُلجاز قصيراً لكنه كاشفاً. تحركت يده إلى الحقيبة على حزامه، متحققاً من أن القارورة الثمينة لا تزال آمنة. ثم، بعزم متجدد، أشار إلى الطائرة فوقه.

بدأ كابل الاستخراج بالانسحاب، رافعاً سُلجاز نحو الطائرة المحلقة. جهين، رائياً فرصته الأخيرة تضيع، قام بقفزة يائسة، واثباً للأعلى ليمسك بساقي سُلجاز أثناء صعوده.

تسبب الوزن الإضافي في اهتزاز الكابل بعنف. ركل سُلجاز، محاولاً التخلص من قبضة جهين، لكن المحقق ظل ثابتاً، ساحباً نفسه للأعلى تدريجياً رغم مقاومة سُلجاز.

"اترك، أيها الأحمق!" صاح سُلجاز فوق هدير الطائرة والعاصفة. "ستقتلنا كلينا"!

كانا الآن معلقين في منتصف المسافة بين أرضية الملجأ والفتحة المفتوحة، والطائرة تكافح للحفاظ على استقرارها مع الوزن الإضافي غير المخطط له. بدأ الرمال تدور إلى داخل الملجأ من الأعلى مع اختراق حافة العاصفة للمساحة المحمية.

واصل جهين صعوده المصمم، واجدًا نقاط تمسك على بدلة سُلجاز البيئية رغم محاولات مدير العمليات المتزايدة يأسًا لإزاحته. أصبح صراعهما أكثر عنفاً مع اقترابهما من الطائرة، إذ أخذ سُلجاز يضرب للأسفل بقبضات مغلقة بينما تقدم جهين بمنهجية.

بدفعة قوية واحدة للأعلى، تمكن جهين من الإمساك بالحقيبة المثبتة على حزام سُلجاز. مدركاً التهديد المباشر لحمولته الثمينة، تخلى سُلجاز عن محاولاته لإزاحة جهين وركز بدلاً من ذلك على حماية الحقيبة، ممسكاً بها بكلتا يديه.

كانت هذه الوضعية الدفاعية سبب هزيمته. مع تحويل انتباه سُلجاز، وجه جهين ضربة دقيقة إلى نقطة الاتصال بين الحزام وكابل الاستخراج. تفعّلت آلية الإطلاق الطارئ، المصممة لتحرير المستخدم إذا تعرض الكابل للخطر أثناء الاستخراج.

فجأة، انفصلا عن الطائرة، وسقط كلا الرجلين نحو أرضية الملجأ. جهين، متوقعاً السقوط، تمكن من توجيه نفسه لامتصاص التأثير بتدحرج متحكم به. سُلجاز، أُخذ على حين غرة ومُعاق ببدلته البيئية، هبط بشكل غريب، وطارت الحقيبة من قبضته وانزلقت عبر الأرضية الخرسانية.

تعافى جهين أولاً، متحركاً بسرعة لتأمين الحقيبة. كافح سُلجاز للوقوف على قدميه، وقد تشققت خوذته البيئية من التأثير، وتعبيره مزيج من الغضب واليأس وهو يرى جائزته في حوزة جهين.

"أنت لا تفهم ما تفعله،" بصق، والدم يتسرب من جرح على جبهته. "ذلك المركب يمكن أن يرفع البشرية إلى ارتفاعات لم تُتخيل. باستخدامه بشكل صحيح، وتوجيهه بحكمة، يمكن أن يخلق حضارة جديدة"!

"ربما،" اعترف جهين، مؤمِّناً الحقيبة بعناية. "لكن ليس من خلال القتل. ليس من خلال رؤية رجال يرون أنفسهم آلهة، يقررون من يستحق العيش ومن يجب أن يموت. إذا كان لابد من رفع البشرية، فيجب أن يكون من خلال العدالة والحقيقة، وليس الخداع والنخبوية".

فوقهما، حافظت الطائرة على تحليقها المستحيل، وكابل الاستخراج يتدلى بلا فائدة. طقطق صوت من جهاز الاتصال الخاص بسُلجاز، مسموعاً حتى فوق هدير العاصفة المتقدمة.

"الاستخراج متعثر. فشل الحصول على الهدف. شدة العاصفة تتجاوز معايير التشغيل. الانسحاب مصرح به. أكرر، الانسحاب مصرح به".

بدأ الكابل بالانسحاب بسرعة. نظر سُلجاز للأعلى بعدم تصديق ورعب متزايد مع اختفاء طريق هروبه.

"لا! تجاوز! استخراج ذو أولوية مطلوب!" صاح في جهاز الاتصال الخاص به، لكن الطائرة كانت تبتعد بالفعل، وأنظمتها المتطورة تعطي الأولوية للحفاظ على النفس على حساب أوامر سُلجاز اليائسة المتزايدة.

بدأت فتحة السقف بالإغلاق، والهيدروليكيات القوية تسحب اللوحات المعززة معاً مع استجابة أنظمة المنشأة الآلية للاختراق البيئي. خلال لحظات، اختفت الطائرة من الأنظار، وأُغلق الباب مرة أخرى ضد العاصفة الصحراوية الهائجة.

هوى سُلجاز على ركبتيه، وحجم فشله يغمره. هروبه أُحبط، جائزته فُقدت، مؤامرته انكشفت انهارت الخطة المبنية بعناية بالكامل.

"انتهى الأمر،" قال جهين ببساطة. "عدالة لحوزير ولاميرا. وحماية للبشرية من أولئك الذين سيتحكمون بمن يعيش ومن يموت".

فُتح باب الملجأ خلفهما، كاشفاً عن سلمير جَلمير وفريق أمني بمعدات تكتيكية كاملة، والأسلحة مرفوعة.

"سيد سُلهان! هل أنت مصاب؟" نادى سلمير، متقدماً بحذر.

"لم أُصب،" أكد جهين. "ولقد أمّنت القارورة المفقودة. السيد الزهراني سيحتاج لعناية طبية قبل معالجة قضيته الكاملة واعترافه".

بينما تحرك أفراد الأمن لتأمين سُلجاز، سلّم جهين بعناية الحقيبة المحتوية على القارورة الثمينة إلى سلمير.

"يجب إعادة هذه إلى المختبر المؤمن فوراً،" أرشد. "ويجب اعتقال الدكتور باشيان رسمياً للتآمر ومحاولة السرقة، بانتظار تحقيق كامل حول اتصالاته باتحاد جنيف".

"تم بالفعل،" أكد سلمير. "والدكتورة لاميرا استقرت حالتها. يعتقد الدكتور روحبان أنه حدد المركب المستخدم ضدها وقد ركب عامل مضاد محتمل".

"أخبار ممتازة،" قال جهين بارتياح حقيقي. "الحقيقة تظهر من الرمال أخيراً".

بينما قادوا سُلجاز عائدين عبر نفق الإخلاء نحو المنشأة، استمرت أسوأ فترات العاصفة الرملية تهدر فوقهم. لكن مثل كل عواصف الصحراء، مهما كانت عنيفة، ستمر في النهاية. سيستقر الرمل، كاشفاً عن مشهد طبيعي متحول لكنه في جوهره لم يتغير. كذلك الطبيعة البشرية، تأمل جهين قادرة على الدمار الهائل والمرونة الملحوظة في آن واحد.

سيصبح اكتشاف حوزير قريباً ملكاً للعالم، وليس للمتآمرين أو الشركات. سيجلب تطويره بلا شك تحديات ومعضلات أخلاقية، لكن سيتم مواجهتها في وضح النهار، من خلال الحوار المفتوح وصنع القرار الشفاف، وليس من خلال القتل والقمع.

أصدرت الصحراء، القاسية التي لا ترحم، حكمها. فشل أولئك الذين سعوا لدفن الحقيقة تحت رمالها المتحركة. وفي ذلك الفشل كانت فرصة البشرية — لمواجهة مستقبلها بالحكمة بدلاً من الخوف، بالمشاركة بدلاً من التخزين، بالحياة بدلاً من الموت.

بالنسبة لجهين سُلهان، كان هذا كافياً. تمت خدمة العدالة، وانتصرت الحقيقة، وثبتت حكمة الصحراء القديمة مرة أخرى: لا شيء يبقى مدفوناً إلى الأبد. الريح والزمن يكشفان جميع الأسرار في النهاية، سواء كانت منحوتة في الحجر أو مكتوبة في الرمال.

النهاية

بشكر خاص للقارئ المميز، الذي غامر معنا عبر رمال المملكة العربية السعودية التي لا ترحم، حيث تكشفت أسرار قديمة كالزمن نفسه تحت شمس لا هوادة فيها.